كتاب نصف الشهر 38 سلسلة شراع



قتْل العربي

(صورة العربي في وسائل الإعلام الغربية)

زهير الوسيني

سلسلة شراع

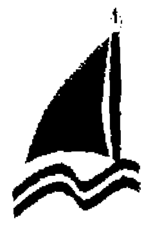
كتاب نصف شهري يصدر عن وكالة
شراع لخدمات الإعلام والاتصال

مركز الإدارة
137 شارع ولي العهد - طنجة
الهاتف : 94.42.12
37.39.27
الفاكس : 94.42.16

العدد الثامن والثلاثون ، 9 جمادى الأولى 1419 - فاتح سبتمبر 1998

« شراع »

كل نصف شهر موعد القراء مع كتاب جديد



سلسلة إعلامية لنشر ثقافة التواصل

الثمن: 10 دراهم

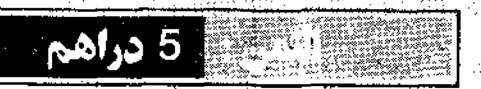
إصدارات وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال

- كل نصف شهر : « كتاب سلسلة شراع » في الثقافة والإعلام .
- كل شهرين : « سلسلة إبداعات شراع » في المسرح والشعر والقصة والرواية .

10 دراهم

- **قريبا تصدر من "وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال" السلسلة الفصلية الجديدة :**

« موسوعة شراع الشعبية »



« (الاستراتيجية الثقافية) في اختيار الجهوية كمكون يدعم الانتماء الوطني ، يظل شرطا أساسيا لتنمية شاملة ومتناسقة . »

خطاب التنمية

غالبا ما يبدو (خطاب التنمية) مثقلا بحسابات لا حصر لها ، أمام معطيات واقع تتشابك فيه تجليات وأسباب أزمات متعاضدة ، ظلت تتناسل طيلة عقود الاستقلال ، تحت وطأة المصالح الفئوية الخاصة ومركزية القرارات المدعمة بشعارات التعتيم .. ولعل ظواهر التهميش التي تعانيها مجموعة من المناطق والمدن والقرى عبر مجموع التراب الوطني ، من أهم الحسابات الثقيلة التي يرزح تحتها الآن (خطاب التنمية) .

لنأخذ مثلا الأقاليم الشمالية كنموذج لذلك التهميش المنهج ، الذي ولّد نوعا من الاستئناس ، وكثيرا من الاعتقادات الواهمة ، لدى عدد كبير من المغاربة البسطاء ، في النظر إلى الشمال بوصفه ملاذا لتحصيل ما عز الوصول إليه في مناطق أخرى ، بفضل ما يعج به من انحرافات الاقتصاد اللامشروع (مزارع المخدرات ، التهريب ، المتجارة في عمليات الهجرة السرية نحو جنوب إسبانيا .. اغتصاب المعالم الأثرية والثقافية والمناطق الخضراء ورمال الشواطئ..) ، فالقرب الجغرافي للشمال المغربي من أوربا مع ما يُرتقب من إفرازات الشراكة مع بلدان الاتحاد الأوربي ، التي بدأت تولي اعتبارات خاصة لبعدها المتوسطي ، ومشروع إقامة منطقة للتبادل الحر ، بالإضافة إلى الاهتمام المتنامي بعوامل وخاصيات التميُّز التي تطبع الوحدات الجهوية .. أصبحت كلها عناصر تُغذي الحديث عن أولوية الأقاليم الشمالية وأسبقيتها في الاستفادة من العمليات التنموية ، ولعل أهم جهاز تم إحداثه لهذه الغاية " وكالة انعاش وتنمية الأقاليم الشمالية " ، إلى جانب المجالس الجهوية التي أناط بها المشرع مجموعة من الاختصاصات تتعلق بالتنمية الجهوية على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. فالوكالة

التي تم انشاؤها سنة 1995 لم تكن لتتجاوز حدود الانشغال بإنجاز بعض الدراسات والأبحاث التشخيصية للمنطقة ، وكان عليها أن تنتظر تصريح " حكومة تناوب انتقالي " يتعهد بالترجمة الفعلية لشعار تنمية الشمال ، ثم ترتقب بعد ذلك عرض مشروع القانون المالي للمصادقة عليه ، حتى تجد لنفسها الموارد المالية الضرورية ..

إن وكالة تنمية الشمال التي يمتد مجال تدخلها جغرافيا على مساحة 49.444 كلمتراً مربعا (طنجة ، تطوان ، العرائش ، شفشاون ، الحسيمة ، الناظور ، تاونات ، وجدة ، تازة ، بركان ، تاوريرت ، إضافة إلى إقليم جرادة) والمهتمة مبدئيا بمختلف العمليات التنموية في القطاعات الاجتماعية والإنتاجية ومشاريع البنية التحتية ، لا يمكنها أن تكون المخاطب الوحيد في قضايا تنمية الشمال المتشعبة ، ولو أنها تظل أهم جهاز لها . ولعل اجتماع مجلسها الإداري المنعقد بمدينة الناظور في يوليوز الماضي ، الذي دام أزيد من خمس ساعات برئاسة الوزير الأول ، قد عمل على إبراز التوجهات الأساسية لتنمية الشمال ، التي تم تصديرها بـ " العمل على بلورة آليات تمكن من استثمار أمثل للمؤهلات التي توفرها الشراكة المحلية " .. فعلى صعيد هذا التوجه ، يمكن إثارة الأهمية المفترضة في

التنسيق والتعاون وتقاسم المسؤوليات التنموية بين الوكالة من جهة ، والحكومة والمجالس الجهوية والمجالس المنتخبة من جماعات محلية وغرف مهنية والقطاع الخاص والمؤسسات المهتمة بقضايا التنمية من جهة أخرى .. إذ أن تشعب الاهتمامات القطاعية (الفلاحة ، التنمية القروية ، الصيد البحري ، السياحة والخدمات ، الصناعة التقليدية ، البنيات الأساسية ..) تقتضي تنويع شراكات محلية منفتحة لاتقتصر فقط على المؤسسات الرسمية أو شبه الرسمية ، بل يجب أن تطال كذلك المؤسسات المستقلة وجمعيات المجتمع المدني الفاعلة والمهتمة بقضايا التنمية ، سواء كان اهتمامها يستأثر بجوانب الإنتاج المادي أو الجانب الثقافي .. ذلك أن (الاستراتيجية الثقافية) في اختيار الجهوية ، كمكون يدعم الانتماء الوطني يظل شرطا أساسيا لتنمية شاملة ومتناسقة .. لأن التنوع الثقافي أو ما يمكن نعته إجرائيا بـ (جهوية الثقافة) عنصر لايمكن إلغاؤه لحسابات تبريرية تجد أساسها في منطق (التمركز) . باعتبار التنوع والتعدد الثقافي دعامة أساسية وحيوية للتنمية ، ولا يمكن تصور هياكل مؤسساتية وتقنية تسهم في إنجاح المشروع الجهوي ، بمعزل عن تثمين الفعل الثقافي الذي أصبح موقعه في صميم المشاريع المجتمعية المتكاملة ، كفعل مؤطر

ومدعَّم ، وليس مجرد إضافة جانبية ..

وبالعودة إلى التقرير المالي لوكالة إنعاش وتنمية الأقاليم الشمالية لسنة 97 / 1998 ، نجد الاهتمام يتركز في البرنامج الاقتصادي والاجتماعي المندمج على المدى القصير - وهو يتطلب تعبئة موارد تصل إلى 9.2 مليار درهم - على مجموعة من المحاور ، كمحاربة التعرية وحماية البيئة ، الطرق ، البنيات الأساسية والتعمير والسكن ، والصحة ... وإن لم يُسجَّل تغييب القطاعات المتصلة بالثقافة كالتعليم والتكوين المهني ومشاريع سوسيو - تربوية مختلفة ، إلا أن التساؤل يظل مشروعاً بخصوص إمكانية توسيع دائرة الاهتمام بمجالات ثقافية وإعلامية أخرى ، غالبا ما تتحمل أعباءها فعاليات مستقلة غير رسمية ، جديرة بالتشجيع والثقة .. وربما تكون أولى بتوقيع شراكات طموحة تعطي للتنمية الجهوية الدفعة الإضافية اللازمة لكي تجعلها في مستوى تحديات ورهانات القرن المقبل ..

- ... وإلا كيف نفسر تغييب بعض المؤسسات الثقافية والإعلامية مثل : « وكالة شراع » الجهوية ذات البعد الوطني والعربي . ●

وكالة شراع

قتْـل العربي

(صورة العربي في وسائل الإعلام الغربية)

بقلم :

زهير الوسيني



لوحة الغلاف :

جبر علوان (العراق)

كتاب نصف الشهر 38 سلسلة شراع

« العربي يظل عربيا حتى وإن لم يطأ أرضا عربية في حياته .. »

العربي في المتخيل الغربي

" اسمي محمد بوشعيب وأعمل منظفا للواجهات الزجاجية " : هكذا يستهل الطاهر بن جلون إحدى أذكى مقالاته ، التي تتناول مأساة المهاجرين الذين يعانون بشكل يومي من الصورة ـ الكليشيه التي جعلت من الإنسان العربي مرادفا للإرهاب والإجرام .

" أينما أذهب أحاول أن أكون صغيرا صغيرا ، أمر طبيعي لأنني عربي ، عربي فقير يوجد بعيدا عن بلاده (...) يتم تفتيشي باستمرار عند مداخل الميترو (...)

ألفت ذلك لدرجة أصبحت معها ، أنا محمد بوشعيب ، أقترح على الشرطة تفتيشي ، أقول لهم : هآناذا .. المشكلة هي أنهم لايجدون أي شيء ، وهذا أمر ينرفزهم لأنهم يحسون كما لو أن عملهم يضيع هباء منثورا (...) كثيرا مايسألونني : هل أنت أصولي ؟ كما لو كانت المسألة متعلقة بجنس بشري أو بانتماء لجنسية معينة (...) قبل وصولي إلى فرنسا لم أكن أعرف كلمة " أصولي " . أظن أن أول مرة سمعت بهذه الكلمة كانت عبر التلفزيون .

إذن ، هل أنا مشبوه لأنني مسلم ، أم أني لست جميلا ؟ يقولون بأننا نربي اللحي لكي نوزع الرعب . هل مظهري مرعب ؟"(1)

هذه المقاطع تلخص بشكل ما الصورة التي تستقر في أذهان الغربيين عن الإنسان العربي ، كما تبرز أهمية طرح هذا الموضوع بغاية فهم الميكانيزمات التي تعمل على خلق وتكريس هذه الصورة .

فمن المتفق عليه حاليا بأننا نجسد في مخيلة الإنسان الغربي صورة الشعب المتوحش والعدو الذي تجب محاربته . ويكفي قراءة استطلاعات الرأي التي تتبعت هذه القضية

1) Tahar Ben Jelloun : " Il mio nome è Mohamed . Questa è la mia vita " . Corrier Cultura (domenica 10 - 2 - 1991) .

لكي نقف على هذه الحقيقة : العرب يحتلون المراتب الأخيرة مقارنة مع الشعوب الأخرى[2] ، فهم مرفوضون وممقوتون لأنهم إرهابيون ، مجرمون ، لصوص ، قتلة ومتوحشون .

يقتل مراهقا بمرسيليا . بعد عدة دقائق كل وسائل الإعلام الفرنسية تحمل نبأ كون القاتل ذو ملامح مغاربية . القاتل هو مراهق آخر يحمل الجنسية الفرنسية منذ ولادته ولكن ذلك لايهم ، فالعربي يظل عربيا حتى وإن لم يطأ أرضا عربية في حياته . ثم وبخلاف شعوب الأرض كلها ، فالعرب ينهلون الجريمة من ثدي أمهاتهم ، وهذه قضية لايمكن بأي حال من الأحوال إنكارها .

حينما ينقل التلفزيون لقطات عن الجنازة ، هناك الآلاف من المتجمهرين الذين لم يجدوا من شعار لتحية الضحية سوى "لامارسيي" كما لو كان الأمر يتعلق بحرب للإستقلال .

أيام معدودة بعد الجريمة المذكورة مراهق فرنسي آخر ، هذه المرة من أب وأم فرنسيين " نقيين " ، يطلق النار على مراهق آخر ويرديه قتيلا . ووسائل الإعلام اتفقت هذه المرة

2 ـ مثلا الاستطلاع الذي نشرته مجلة تييمبو Tiempo الإسبانية في عددها الصادر يوم 20 ـ 1 ـ 1996 والذي يضع العرب في المرتبة ما قبل الأخيرة (قبل الغجر) . الخطير في هذا الاستطلاع هو أنه اقتصر على تلاميذ المدارس الذي أكد 26 بالمائة منهم رغبتهم في طرد كل العرب المتواجدين في إسبانيا .

بأن هذه القضية تحتاج إلى قراءة متبصرة تأخذ بعين الاعتبار الحيثيات الاجتماعية والسيكولوجية التي أحاطت بالجريمة .

" أذكّر الجميع بأن جولي ومليسا وآن وإيفينجي سيتوجهون إلينا بأنظارهم من هناك ، من الأعلى .. لذلك ننتظر من هذه المظاهرة بأن تمر في هدوء ونظام " ، هكذا توجه جينو روسو : أب الصغيرة مليسا ، إلى البلجيكيين الذين قرروا المشاركة في مظاهرة للتنديد بالجرائم التي اقترفها مارك دوترو في حق أطفال أبرياء .

منذ الساعات الأولى من صباح يوم الأحد 20 أكتوبر 1996 بدأت تتقاطر على شوارع بروكسيل الجماهير الكثيرة التي أتت من مدن وقرى بلجيكا للتعبير عن تضامنها مع عائلات الأطفال المختطفين ، أكثر من 350 ألف شخص يملأون شوارع العاصمة في مسيرة بيضاء يتددون خلالها بعمليات الاعتداء التي طالت أطفال أبرياء .. بعد الكلمات التي ألقيت بالمناسبة ، تم سحب الستارة على لوحة تذكارية أعدت لتخليد أسماء من سقطوا ضحية للوحشية وانعدام كل معاني الإنسانية . المفاجأة كانت هي عدم ذكر اسم لبنى بن عيسى ضمن الأسماء الواردة في اللوحة[3] ، فحتى في قمة

---

3 ـ لبنى هي طفلة مغربية في ربيعها التاسع كانت تقيم مع عائلتها في بلجيكا قبل اختطافها في 5 غشت 1992

الحزن والأسى والتضامن لم ينس البلجيكيون أن اسم " لبنى " اسم عربي ، وهو حجة أكثر من كافية لإسقاطه من اللائحة [4] .

" المريض الإنجليزي " أحد أهم الأفلام التي أنتجتها هوليود خلال السنوات الأخيرة . الشريط تدور أحداثه في مصر خلال الحرب العالمية الثانية . الفيلم يسير بشكل عادي اللهم من استغلال حقيقي لكل الصور الساكنة في مخيلة الإنسان الغربي عن العرب . ولكن هذا الاستغلال لا يصل بأي حال من الأحوال إلى الدرجة التي عهدناها في الأفلام الهوليودية ، التي ألفت العمل على الانتقاص من الإنسان العربي وتصويره كمنحرف ، كلص أو كإرهابي . ففيلم " المريض الإنجليزي " كان من هذه الناحية أكثر احتراما ، إلى أن نصل إلى لقطة تصور قسوة ممرضة " مسلمة " ، كما تم نعتها في الفيلم ، التي تعمل على قطع أصابع إحدى الشخصيات الثانوية تنفيذا لأوامر الضابط الألماني . صورة ، بالإضافة إلى عدم توافقها مع الحقيقة ، تساهم فقط في ترسيخ صورة القسوة التي بنتها الأساطير الإعلامية في الغرب عن الإنسان العربي ، خصوصا حينما يتم التطرق إلى

---

4 - انظر القدس العربي (29 أكتوبر 1996) . ص 6 .

انتمائه الديني . فالإسلام حسب - هذه الصورة - هو مرادف للقسوة والإرهاب .

الأمثلة تتوالد مثل الطحالب حينما يتعلق الأمر بالبحث عن الكيفية التي يعامل بها هذا الإنسان العربي المقهور ، الذي لايعرف كيف يتصرف لمواجهة هذا الحيف الذي يحيط به من كل مكان ، مضيقا عليه الخناق وغارسا في دواخله كل معالم العقد النفسية الموصلة إلى انعدام الثقة في النفس والاعتقاد بانحطاطه وسمو الآخر .

والمشكلة تتعقد أكثر حينما يتم مناقشة هذا الموضوع بحضور أوربيين ، فهم لايرون في كل هذه التصرفات أي تجسيد لعنصرية ما . فبريجيت باردو حتى وهي تسب العرب والمسلمين في " برنامج برنار بيفو " على قناة " فرانس 2 لاتجد فيما تقوله أي شيء مسيء لهم . وما يقال عن الممثلة الفرنسية يمكن أن يقال عن الآخرين ، فهم متأكدون بأن المسألة لا علاقة لها بأي تصور عنصري ، خصوصا وأن الحضارة الغربية بكل المبادئ التي تأسست عليها لايمكن باي حال من الأحوال نعتها بمثل هذه الصفات المستهجنة .

لذا ، فإن شرطا أساسيا لابد من استيعابه قبل الشروع في تحليل هذه الصورة المتأصلة في الغرب عن الإنسان

العربي : لايمكن الاعتقاد في أن هذه الصورة ستتغير لوحدها أو أن الغربيين سيلاحظون في يوم من الأيام بأن ما يحملونه في مخيلاتهم عن العرب مملوء بالأخطاء والمغالطات . أي إذا كان من الضروري العمل على تغيير هذه الصورة ، فإنه يتوجب على العرب (المثقفون والعاملون في الميدان الإعلامي خاصة) الوقوف بهدوء وتأن على حيثيات هذه المسألة ، مع التركيز على فهم الخلفيات التي تسند هذه الصورة السيئة جدا . آنذاك فقط نستطيع تدشين الخطوة الأولى في طريق غير معبدة بالمرة ، وهذا ما تطمح إليه هذه الدراسة . طرح قضايا متعددة لها ارتباط بالموضوع الأساسي والانطلاق من خلاله لفتح أبواب نقاش أغنى ألا ينتهي بانتهاء صفحات هذا الكتاب .

إن أهم نقطة يجب الوقوف عندها بغاية فهم الإطار العام المولد للصورة المذكورة ، هي تلك التي تتعامل مع المحاور التي تنتج الآراء المنصبة في اتجاه خلق تصور معين عن العربي في مخيلة الإنسان الغربي . هذه المحاور يمكن تلخيصها في ثلاث بنيات أساسية ترتبط فيما بينها ارتباطا جدليا حيث لايمكن تناول إحداها بمعزل عن الأخرى : . الإنسان العربي ، الرأي العام الغربي ، والوسائل التي

تشكل الصورة والتي سنجملها في تقنيات الإعلام الحديث .

وفي سبيل رسم آليات منهجية كفيلة بتسليط قليل من الضوء على الأسباب التي تقف وراء الصورة المذكورة ، فإن أول المواضيع التي يجب معالجتها هو ذلك المرتبط بتحديد الرأي العام الغربي وعلاقته بوسائل الإعلام ، وذلك لفهم مكوناته والانطلاق من خلاله إلى تحليل الميكانيزمات التي يعتمدها في تكوين تصور معين عن الإنسان العربي . ●

« نشر الأخبار السياسية أعلن عن انطلاق مرحلـة حاسمـة تميزت بتطور الرأي العام .. »

الرأي العام الغربي ووسائل الإعلام

من الواضح أن صورة العربي في مخيلة الإنسان الغربي تحمل كل المعاني السلبية . الأسباب هي أساسا تاريخية ، ولكنها ترتبط كذلك بنوع معين من المعلومات التي يتم تزويد الرأي العام بها . ففي زمن الإعلام المفتوح والمتفتح ، الذي قرب العالم بشكل لم يكن في الإمكان تصوره قبل الآن ، لازالت هناك بعض الحيثيات التي تؤكد بأنه كوسيلة للتواصل لم يستطع في أي لحظة الخروج من الإطار الموجه المنبني على التصورات المهيمنة في

الثقافة التي يتوجه إليها . فالعلاقة بينه وبين الرأي العام المستهلك لازال يشوبها الكثير من اللبس الذي يجعل من الصعب تجريد الوسائل الإعلامية من الإطار المحيط بها ، وهذا ما يستوجب قراءة متأنية في نوعية العلاقة بين الإعلام والرأي العام .

فمحاولة سبر العلاقة بين هاتين البنيتين هو بغاية الوقوف على مدى التأثير الذي يمارسه أحدهما على الآخر . ففي كثير من الأحيان يصعب تحديد مَنْ يؤثر في مَنْ ، على اعتبار أن الارتباط الجدلي بينهما يجسد إطارا من الغموض لايمكن إثارته إلا بتفكيك آليات كل بنية والعمل انطلاقا من ذلك على رصد نوعية العلاقة وضبط خفاياها .

ولايمكن الحديث عن تعريف شامل بشكل تام لمصطلح " الرأي العام " ؛ فعلم الاجتماع الذي تدرس في إطاره القضايا المتعلقة بالرأي العام ، يتميز ساعة معالجة هذه المسألة بغموض وتردد كبيرين يعودان إلى الصراعات الفكرية بين مختلف تياراته . ولكن هذا لايمنع من البحث عن نقط اتفاق يمكن من خلالها تكوين صورة تقربنا أكثر من استيعاب أشمل للمصطلح .

وهكذا ، فإن الظاهرة تتبلور بشكل أفضل حينما يتم

الانطلاق من الأبعاد اللغوية التي يتجسد المصطلح عبرها . وهنا لابد من إبراز المرجعيات في هذه الحالة تجد مأواها في الثقافة الغربية التي ولد في أحضانها مصطلح " الرأي العام " وتطور بتطورها ، فالمرور إلى اللغة العربية كان عبر الترجمة التي وإن كانت دقيقة ، فإنها تغفل الكثير من الحيثيات المهمة نتيجة للاختلافات الحضارية الموجودة .

فكلمة " رأي " على المستوى اللغوي هي ترجمة لـ "opinion" المأخوذة من الكلمة اللاتينية " opinio " التي تقصد أساسا : الفكرة التي تتكون في ذهن الشخص أو الأشخاص حول أحداث ، ظواهر أو وقائع معينة حينما يكون من المستحيل الوصول إلى يقين مطلق يسمح بالحكم على طبيعة الأشياء ، نوعيتها وأسبابها ، وهذا ما يدفع إلى تأويل شخصي يأخذ بعين الاعتبار إمكانية السقوط في الخطإ . الأمر الذي يتجسد في جمل من هذا النوع : هذا رأي شخصي ، أو هذا مجرد رأي ، إلى أن يتأكد صحة الخبر ، فإنني أظن .. إلخ . بمعنى أننا أمام طريقة لتقديم الأفكار الشخصية باعتبارها قناعات قابلة للتغيير في أية لحظة عندما ينقلب الشك إلى يقين[5] . فالأمر يختلف مثلا

5 ـ انظر Vocabolario della lingua italiana . Roma : Instituto della Enciclopedia Italiana . 1989 .

حينما يتعلق بمسائل رياضية حيث القضايا تجد دلالتها عبر حقيقة يستحيل التشكيك فيها . لذا ، فإن أهم نقطة يجب أن نقف عندها حينما نتطرق إلى هذا المصطلح في مستواه اللغوي هو تجسيده لتصورات ذاتية تترك هامشا كبيرا للشك ، وهذا استنتاج مهم ، لأنه يضعنا وجها لوجه أمام الطريقة التي يتم بها تحديد هذا الرأي لكي يشكل فيما بعد قناعات معينة .

هذا فيما يخص كلمة " رأي " ، أما حينما تقترن بصفة " العام " (Pubblica) ، فإن دلالتها تتحدد أكثر لتصبح تمثيلا لطريقة تفكير الأغلبية ولقناعاتها الإيديولوجية[6] ، دون أن ينفي هذا الفهم التقارب الشديد ساعة تحليل الظاهرة بين الرأي الشخصي وذاك الذي تولده الجماعة ، باعتبار هذا الأخير تعبيرا عن روح تتحرك بدينامية من الخاص إلى العام على صورة عقل وعاطفة وإرادة تطفو على السطح بشكل جماعي[7] .

هذا على المستوى اللغوي ، أما فيما يتعلق بالمفهوم ، فإنه يجد له صدى ولو بشكل خافت في التعبير

---

6 ـ نفسه .
7 ـ انظر : Enciclopedia Universal ilustrada . Barcelona : Espana (s . d .)

الروماني " Voxpopuli " الذي كان يجسد بطريقة ما " صوت الشعب "[8] كرأي متفق عليه من طرف العامة ، أو ما ينعته بغاية الدقة كوفريدو دوناتو (Goffredo Donato) بالحدس الإمبراطوري الواعي بوجود واقع يشكل فيه رأي الجماعة أهمية لايمكن إنكارها[9] . نفس الصدى يمكن أن نجده في مفهوم " Consensus " الذي طفا إلى السطح خلال القرون الوسطى . ولكن هذين المفهومين ، حتى وهما يعبران عن حكم ، عن إجماع ، عن رد فعل ، فإنه لايمكن إدراجهما في إطار المرجعية التاريخية لمفهوم الرأي العام ، لأن هذا الأخير يتميز بتركيبة أكثر تعقيدا تجعل غايته ذات قيمة أكبر باعتبار التأثير الذي يمارسه خصوصا في الحياة السياسية . هذه الأهمية ستصبح حقيقية ، أو ستأخذ بعدا أكثر نفوذا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حينما بدأ التمييز بين مفهوم الدولة ومفهوم الحكومة ، أي بشيوع المبادئ التي أتت بها الثورة الفرنسية والتي شكلت منعطفا جديدا كانت

8 ـ مصطلح " vox populi " ظهر في نهاية الامبراطورية الرومانية ، وكان يلخص رد الفعل الشعبي أمام حدث خطير او موقفا معينا حيال قرار متخذ من طرف الحاكم .

9 - Donato Goffredo : Formazione dell'opinione pubblica . Roma : Palombi Editori , 1972 , p.5 .

إحدى أعمدته التأكيد على شمولية مفهوم الدولة وأهمية الدفاع على مصالحها وتحديد مفهوم الحكومة بالشكل الذي سمح بوضع مؤسسات تتكفل بمراقبتها . هذه المؤسسات يتم تكوينها من طرف ممثلين عن الشعب ، الأمر الذي أعطى لرأي الأغلبية أهميته خصوصا بعد تعميم حق التصويت الذي أصبح بمثابة جسر يجب المرور منه لتحقيق الطموحات السياسية . أي أن رأي الشعب أصبح ذا قيمة حينما بدأ في لعب دور لم يتح له أبدا : التأثير في الحياة السياسية [10] .

فمفهوم الرأي العام ينطلق بهذا الشكل من تصور مصلحي ، حيث أن نشأته ترتبط بصعود طبقة اجتماعية ووعيها بالقوة التي تملكها ، مما حثها على الوقوف في وجه السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها الحكام في تلك الحقبة ، لأن أسلوب الحكم هذا لم يعد متفقا ومصالحها الاقتصادية . فالبرجوازية التي خلقت لنفسها حيزا في الحياة الاقتصادية

---

10 - وهو أمر لانعتقد أنه حاضر في تاريخ الشعوب العربية التي لازال مواطنوها يعانون من أنظمة أوتوقراطية بعيدة كل البعد عن كل القواعد الديمقراطية حتى تلك التي يمكنها أن تعطي أصغر منفذ ممكن لإسماع أصواتها . لذا . فإن تتبع المصطلح على مستوى اللغة لايمكنه أن يتم إلا في أحضان الثقافة الغربية التي تطور في أحضانها .

التي كانت حكرا على الطبقة الأرستقراطية ، وجدت نفسها في حاجة إلى الانغماس في المعمعة السياسية ، وذلك دفاعا عن مصالحها .

وهكذا ، فإن الصحف التي كانت في أغلبها بيد هاته القوة الجديدة أصبحت تولي اهتماما ليس فقط بأخبار الحوادث والاقتصاد ، بل كذلك بتلك المرتبطة بكواليس البلاط والبرلمان . وهو ما تجسد منذ البداية في صراع حاد بين الصحافة والحكومة التي كانت ترفض إعلان ما كانت تعتبره حكرا على المحيط الحكومي والبرلماني[11] . فنشر الأخبار السياسية أعلن عن انطلاق مرحلة حاسمة تميزت بتطور الرأي العام الذي أصبح أكثر نضجا ، مما سهل إشراكه في تسيير دفة الحكم ، على الأقل نظريا .

فعتبة القرن التاسع عشر هي بمثابة النقطة الفاصلة التي تجسد التطور النوعي للرأي العام الذي أصبح أكثر تنظيما بسبب ما كانت تنقله إليه الصحافة من معلومات أساسية جعلته أكثر استعدادا لمواجهة التهميش وكل أنواع السلطة المطلقة . ولكن مع مرور الزمن أصبح من السهل السيطرة

---

11 ـ في إنجلترا مثلا لم يسمح للصحافيين رسميا بدخول مجلس العموم إلا في سنة 1803 حيث كانوا مضطرين قبل هذا التاريخ إلى التسلل بشكل غير قانوني .

على تلك الوسائل لتصبح مجرد أداة للدفاع عن مصالح اقتصادية معينة . هاته المصالح التي لاتتوانى في استعمال كل التقنيات الممكنة للهيمنة على مصادر الخبر ، وبالتالي التحكم في النتائج المحتمل حدوثها . ●



« الخبر لايمكنه أن يكون بريئا ، لأنه علاة ما يدافع عن مصالح معينة . »

صناعة الرأي العام

إن استحالة وضع تعريف محدد لهذا " الرأي العام " الذي يدعو إلى محاولة فهمه في إطار المتغيرات التي تتحكم في مواقفه . فأهمية الأحداث هي التي تدفع إلى تتبع رأي الجمهور ، أي أن غربلة مايتم التفكير فيه من طرف الأغلبية ، التي تعبر عن رأي معين ، يسهل استشفافه حينما تكون قضايا مهمة تشغل الساحة ، وهذا يعني أن الآراء قد تختلف حسب الانتماءات الاجتماعية حينما لايكون هناك حدث إلى اتخاذ

موقف موحد . ففي هذه الحالة نكون في الواقع أمام آراء عامة وليس أمام رأي عام . آراء عامة لأن هناك دائما حيثيات سيكولوجية تجعل الآراء تختلف حسب اختلاف الظروف والمصالح .

ولكن قراءة ما يعبر عنه هذا الرأي العام يتجسد بشكل أفضل حينما تطفو على الساحة قضية من القضايا المهمة التي تدعو الجمهور إلى اتخاذ مواقف محددة . مثلا لحظات الحرب التي تحتاج إلى عمليات استنفارية غايتها توحيد المواقف ضد " العدو المشترك " . ففي هذه الحالات يصبح من الضروري الإلمام بالطرق الناجعة لاستعمال الوسائل الإعلامية ، التي تنقلب في هذه الحالة إلى وسائل دعائية لتحقيق وحدة في الرأي تسهل مهمة السلطة المهيمنة .

يؤكد أليرامو هيرميت (Aleramo Hermet) أن " الرأي العام هو عبارة عن آراء فردية تلتجأ فيما بعد إلى الاتفاق عبر وسائل تقنية يتم استخدامها من طرف متخصصين "(12) ، أي أنه منذ البداية يضعنا أمام نقطة

---

12 - Aleramo Hermet : I nouvi fabbricanti d'opinione pubblica . Milano : Ahngeli , 1966 , p19 .

هذا الرأي يتطابق مع ذلك الذي أورده دوناتو كوهريدو في كتابه المذكور حينما يذكر أن الرأي العام كظاهرة يتم من خلالها الإسراع في تمرير المعلومات والأفكار . وذلك باستعمال تقنيات الإعلام الحديثة التي تساعد على المحافظة . تغيير أو قلب البنيات الاجتماعية والثقافية للشعوب . انظر المصدر السابق ص 5 .

طالما أثارت نقاشا وجدلا حادين : هل الرأي العام تعبير طبيعي عن مواقف معينة ، أم أنه وليد صناعة توجهه وتشرف عليه ؟

هناك اتفاق أكيد بأن الرأي هو نتيجة لخلفيات معينة ، أي أن من يبدي رأيا ما يكون متوفرا على مجموعة من المعلومات[13] ، التي كلما كثرت وتعددت مصادرها كانت منفذا يسمح بالاقتراب من الحقيقة . فالرأي لايمكن أن يولد من لاشيء ، يجب أن يتشكل انطلاقا من مرجعيات معينة تتحقق بالقراءة ، بالاستماع ، بالمشاهدة أو بها جميعا . وهكذا ، فإن كل شخص يكوّن رأيا عن الآخر انطلاقا من الملاحظة أو الانطباع الذي يتركه من يتحدث معه ، من يقرأه أو يستمع إليه ، أي في واقع الأمر كل شخص يساهم ، نظريا على الأقل ، في تكوين رأي الآخرين .

وإذا كان من السهل تكوين رأي خاص عن شخص نعرفه أو حدث عايشناه ، فإن الأمر يصبح أكثر تعقيدا حينما يتعلق بأحداث بعيدة عنا ، ليس جغرافيا فقط ، بل ثقافيا وحضاريا . آنذاك يحتاج المرء إلى وسائل أخرى للتوصل

---

13 ـ مبدئيا على الأقل . لأنه لايمكن إنكار وجود الكثيرين من الذين يعبرون عن آرائهم في مواضيع دون أن يكون لهم أدنى إلمام بها .

بالخبر وفهم الإطار المحيط به . وهذا هو دور الإعلام الحديث الذي أصبح يشكل الأداة الأساسية لتكوين وخلق الرأي العام . فعالم اليوم يكون آراءه من خلال الأخبار التي تفد عليه من كل مكان . فما كان يستحيل التفكير فيه سابقاً أصبح سهل المنال بالنسبة للإنسان المعاصر الذي غدت أخبار السياسة والرياضة والثقافة والاقتصاد .. إلخ ، تشكل زادا يوميا يكفل له التوصل بأكبر قدر من المعلومات التي تمكنه من تكوين رأي حول أشياء لم يكن له بها دراية من قبل . هذا ما يفسر التطور الكبير الذي عرفه الرأي العام على المستوى العالمي ، الذي يرتبط جدليا بالنمو الذي شهده الميدان الإعلامي خلال هذا القرن[14] .

يروي والتر ليبمان في مستهل كتابه «الرأي العام »[15] واقعة شهدتها إحدى جزر المحيط سنة 1914 . فكان

---

14 - يعتبر فينيوكي جورجيو أن مصطلح " الرأي العام " الذي نشأ وترعرع في أحضان علم الاجتماع هو في الواقع وليد القيمة التي أعطتها له وسائل الإعلام والتي أكدت على الدور الذي يلعبه في تحديد مسار التاريخ المعاصر . أي أن تحليل الارتباط الوثيق بين الرأي العام ووسائل الإعلام هو وحده الكفيل بتسليط الضوء على كل الإشكاليات المتعلقة بفهم الآليات الصانعة للصور العالقة في ذهن الجمهور .
Giorgio Vignocchi : Il concetto di opinione pubblica . Cento Edizioni Siaca , 1974 , p. 9 .

15 - Walter Lippman : L'opinione pubblica . Milano Edizioni di Comunita , 1963 .

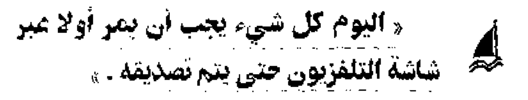
الجزيرة الذين كانوا خليطا من الإنجليز ، الفرنسيين والألمان لم يكن لديهم أي اتصال مع العالم الخارجي ، اللهم ما كانت تزودهم به إحدى الباخرات الإنجليزية التي كانت ترسو على مينائهم مرة كل شهرين . وهكذا ، وبعد الزيارة الأخيرة التي قامت بها الباخرة المذكورة ، فإن السكان قضوا شهرين وهم يتجادلون حول مصير مدام كايو التي كانت تجري محاكمتها بتهمة قتلها لغاستون كالميت . وفي صبيحة تشرينية برزت في عرض البحر الباخرة التي كانت وصلهم بالعالم الخارجي ، مما جعل سكان الجزيرة يتهافتون بسرعة في اتجاه المرسى لمعرفة آخر المستجدات في قضية مدام كايو ، فإذا بهم يفاجأون بقائد الباخرة الذي يخبرهم بأن الحرب العالمية قد اندلعت منذ أكثر من ستة أسابيع ، أي أن سكان الجزيرة المذكورة كانوا في حرب منذ ستة أسابيع عاشوها هم في سلام تام بين بعضهم البعض دون أن ينغص حياتهم أي صراع . إذن ، فإن الخبر في هذه الحالة هو الذي يخلق نوعا من العلاقات قد تختلف في حالة انعدامه ، أي أن المعلومات التي توفرت انطلاقا من زيارة الباخرة هي التي أعطت مرجعية معينة لسكان الجزيرة الذين عاشوا حياتهم في سلام لمدة ستة أسابيع .

فليبمان استطاع من خلال هذا المثال أن يضعنا أمام الكيفية التي يصنع بها الإنسان آراءه وأحكامه ، وبالتالي تصرفاته . فهو لايبنيها على معرفة وتجربة خاصة به ، وإنما على تصورات هو يخلقها أو يتم تزويده بها من طرف الآخرين . وهذا يعني أن تصرفات الفرد ، مجهوداته ، إحساساته وآراؤه مرتبطة ارتباطا وثيقا بالطريقة التي يتصور هو بأنها أساس العالم المحيط به . فهذه الصور الحاضرة في متخيل الفرد ، والتي تحدد وجوده كما تحدد وجود الآخرين وعلاقته بهم ، هي التي تبني فيما بعد ما اتفقنا على تسميته بـ" الرأي العام " .

إننا أمام نقطة أساسية ستصبح كبيرة الأهمية لحظة محاولة فهم نوعية المواقف التي يتخذها الرأي العام الغربي حيال القضايا العربية . فالتجريب المباشر بالنسبة للفرد لايمكنه أن يتعدى حدودا ضيقة جدا مقارنة مع العالم غير المحدود ، وبالتالي ، فإن هذه الاستحالة تحثه على إشباع رغبته في المعرفة انطلاقا مما يزوده به الآخرون أو عبر مايرد في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى .

وهكذا ، فإن الخبر أصبحت له أهميته الكبرى في تحديد توجهات الرأي العام ، لأنه أمسى من المستحيل ، خاصة في الحقبة الأخيرة ، تصور أحداث خطيرة غير متابعة من

طرف وسائل الإعلام . وهذا ما يعطي أهمية قصوى لهاته الوسائل في تكوين رأي معين حول قضية ما . فانطلاقا من هذا التصور يكون الفرد أمام خطاب يشكل رأيه ، ولكنه لايستطيع التحكم في دقته ، لأنه خطاب حربائي تتغير جلدته تبعا للمصدر الذي يبثه . وهذه النتيجة تجعلنا وجها لوجه أمام التأثير الذي تحظى به الوسائل المذكورة ، كما أنها تدفعنا إلى البحث عن الذين يتحكمون فيها ، وذلك حتى يتسنى تقييم الكيفية التي يصنع بها الرأي ، لأن من يأخذ حدثا ويقدمه للجمهور هو مسؤول ، في نهاية الأمر ، على الرأي الذي سيتبناه ذلك الجمهور ، خاصة إذا ما نحن استوعبنا أن الخبر لايمكنه أن يكون بريئا ، لأنه عادة ما يدافع عن مصالح معينة .●



« اليوم كل شيء يجب أن يمر أولا عبر شاشة التلفزيون حتى يتم تصديقه . »

وسائل الإعلام : سلطة التأثير

حينما ننزع للحديث عن تأثير وسائل الإعلام ، فإننا نكون تقريبا في باب البديهيات ، باعتبار أنه أصبح من المستحيل عدم تقدير خطورة هذا التأثير سواء فيما يتعلق بخلق عالم جديد يتمحور عبر آليات إعلامية غايتها تكريس بعض المفاهيم المنتمية للإيديولوجيات المهيمنة ، أو تلك التي تصبو إلى تغيير المواقف المتنافية مع مصالحها السياسية أو الاقتصادية .

يذكر ماورو وولف في كتابه « Cli effetti sociali

dei media » أن الحديث عن خلق الإعلام لواقع جديد لم يتم بلورته إلا انطلاقا من الثمانينيات ، أي حينما بدأت تنزع بعض الدراسات إلى التطرق إلى الموضوع عبر طرحه في الإطار الإعلامي . ولكن بمزجه بمقاربة اجتماعية كما هو الحال مع ليندوف (Lindlof)، لول (Lull) ومايروفيتس (Meyrowitz) ، الذين وضعوا أيديهم على كيفية تغيير وسائل الإعلام لسلوك الأشخاص . أو على حد تعبير وولف " مساهمة وسائل الإعلام في التأسيس الاجتماعي للواقع[16] ، أي تحليل صدى التمثيل الرمزي الذي تجسده الوسائل المذكورة فيما يتعلق بالاستيعاب الذاتي للواقع الاجتماعي .

بكلمات أخرى ، فإنه من خلال تكرار بعض الأحداث سواء تلك المحبوكة داخل مسلسل معين ، في إطار قصة شعبية أو تلك المرتبطة بالحديث عن شخصية من الشخصيات وكيفية مواجهة قضايا محددة ، فإن وسائل الإعلام تعكس صورة معينة عن المجتمع وعن الواقع . وهكذا ، نجد أن المشاهدين (في حالة التلفزيون) يجدون أنفسهم رهينة هذه

16 - " Gli effetti sociali dei media " . Milano : Bompiani , 1994 p 115 .

الوسائل لكي يتوصلوا عبرها بالصور التي ستتبلور بعد ذلك في أذهانهم ، فكثيرة هي ملامح هذا الواقع الذي يستحيل أن يكون لنا بها علاقة مباشرة ، وبالتالي ، فإن بناء هذا الواقع ينبني في هذه الحالة وبشكل كلي على ماتزودنا به وسائل الإعلام ، التي لاتكتفي بذلك فقط ، بل تعمد إلى إعطاء شكل مضبوط لهذا الواقع الذي يصلنا .

وإذا كان على المستوى النظري يسهل الحديث عن ملاحظة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في التأثير على صورة الواقع ، فإن أول من جسد خطورة هذا التأثير هو أورسن ويلز حينما استطاع في أواخر الثلاثينيات خلق جو من الهلع عبر برنامج إذاعي حول قدوم غزاة من عوالم أخرى ، حيث وضع يده منذ ذلك الحين على الإمكانيات التي توفرها وسائل الإعلام لخداع الجمهور . فكمبدع استطاع أن يستشف خطورة التلاعب بالخبر الذي يمكن أن يصل إلى المتلقي ، وبالتالي إلى إمكانية توجيهه بالشكل الذي يريده من يتحكم في هذه الوسائل .

هذا البرنامج ـ المسرحية الذي استطاع أن يزرع الرعب في نفوس المستمعين الذين اعتقدوا بأن ما كان يصلهم عبر الأثير هو حاصل فعلا على أرض الواقع ، حاولت القناة

الأمريكية (Cbs) إحياءه خلال 1994 عبر برنامج " إخباري " عمد إلى تناول حرب العوالم (غزاة من المريخ يهاجمون ولاية كاليفورنيا) مثلما تناولها ويلز ، ولكن هذه المرة على شاشة التلفزيون .

وحتى لاتثير الفزع الذي كان قد أثاره المخرج الأمريكي ، فقد عملت القناة على إخبار مشاهديها وبشكل مستمر إلى أن كل ما يرونه على الشاشة هو مجرد خيال لاصلة له بالواقع ، كما أنها بثت خلال هذا البرنامج العديد من الإعلانات . رغم كل هذا ، فإن القناة توصلت بمكالمات هاتفية من مختلف المدن تحاول أن تقف على صحة ما كانوا يرونه على شاشاتهم ، بينما امتلأت طرق كاليفورنيا بالسيارات التي ينشد أصحابها الفرار من الجحيم القادم . فقدرة الإقناع التي تتوفر عليه هذه الأدوات الإعلامية هو أكبر من أي فهم عقلاني لظاهرة أصبحت تشكل أخطر آفة يواجهها العالم المعاصر : إمكانية التلاعب بالحقيقة الذي يدفع دفعا نحو فقدان قيم كان يستطيع المرء قبلها التمييز بين الخير والشر .

فاليوم كل شيء يجب أن يمر أولا عبر شاشة التلفزيون حتى يتم تصديقه . فالرومانيون لم يصدقوا بأن ديكتاتورهم

تشاوسسكو قد مات إلا بعد أن شاهدوا إعدامه في نشرة الأخبار ، كما أن الأمريكيين لم يصدقوا فظاعة ما كان يقوم به جيشهم في الفيتنام إلا بعد أن رأوا الأطفال الفيتناميين عراة وعلى جسدهم آثار النابالم .

إن هذه القوة التأثيرية لوسائل الإعلام ، وكذا الأهمية التي اكتسبتها هي التي دفعت السلطات ، وكذا الرأسمال إلى محاولة الهيمنة على مصادرها ، وذلك بعد أن تأكد لها عبر التاريخ الحديث مدى نجاعتها في خلق آراء وتصورات معينة . ●

« الإعلام الغربي " يبيعنا " بالشكل



الذي يعرف بأننا كـ " سلعة " يجب أن تقدم للقارئ بالطريقة التي ترسخت في ذهنه منذ زمان ولأسباب تاريخية أساسا . »

وسائل الإعلام : تأثير السلطة

" لاتوجد أي حكومة تستطيع تحقيق النصر إذا لم تكن الأمة واقفة وراءها بشكل موحد ، الأمر الذي لن يتسنى أبدا إذا لم تكن متحكمة في عقول ناسها"[17] . جملة قد تبدو كما لو كانت هدفا يستهوي كل الداخلين في حرب من الحروب ، ولكنها في الواقع تجسد تصورا سكن ومنذ زمن بعيد أجهزة السلطة ، وفي كل مكان ، التي تعمل كل ما في وسعها للسيطرة على الأدوات الإعلامية .

17 - Lasswel H.: Propaganda Techniques in the World War . New York : Peter Smith . 1927 . P10 .

خلال الثمانينيات وبعد سنوات قليلة من موت فرانكو ونهاية الديكتاتورية التي أفسحت المجال لفترة انتقالية ، فاز الحزب الاشتراكي بالانتخابات الإسبانية وبنسبة ضمنت له أغلبية كبيرة . البرنامج الذي اعتمده الحزب المذكور كان يشتمل على العديد من النقاط التي ألفنا قراءتها في الكراسات السياسية التي تقول بتطبيقها الأحزاب اليسارية الأوربية . إحدى أهم هذه النقط وبدون أدنى شك هي تلك التي كانت تؤكد الحرص على الخروج من الحلف الأطلسي الذي أقحمهم فيه رئيس الحكومة السابق كالفو سوتيلو . كثيرة هي الأصوات التي وضعت ثقتها في الحزب الاشتراكي لإيمانها بأنه سيطبق هذا التعهد . أشهر قليلة بعد تولي فيليبي غونزاليث مقاليد الحكم في بلاده قرر دعوة مواطنيه إلى استفتاء غايته تحديد المواقف من القضية المذكورة . الشيء الوحيد الذي لم يدر في خلد أي أحد هو أن الحزب الاشتراكي سيقوم بالدفاع ، وبشكل مستميت ، على الانضمام للحلف الأطلسي لأن " فيه مصلحة الدولة " .

في البداية كل استطلاعات الرأي كانت تتحدث عن فوز أكيد وكبير للداعين إلى الخروج من الحلف المذكور . مع اقتراب موعد التصويت ، بدأ الفارق يتقلص رويدا رويدا بين

المدافعين عن الانضمام ورافضيه إلى أن ظهرت النتائج النهائية التي أكدت عضوية المملكة الإسبانية في الحلف الأطلسي بفارق صغير ، ولكنه كاف لتحقيق المبتغى .

هذه التجربة وضحت للعيان كيف يمكن للشعوب أن تغير آراءها من النقيض إلى النقيض إذا استعملت الأدوات اللازمة لتحقيق ذلك . فالاشتراكيون قاموا بشن حملة إعلامية لم يعرف لها التاريخ الإسباني مثيلا ، توجوها بنداء حار عبر خطاب لغونزاليث ، دقائق معدودة قبل انتهاء الحملة الدعائية لكل الأحزاب السياسية ، ثم نقله عبر كل القنوات التلفزيونية . الطريقة التي كان يدافع بها ، وهو الخطيب المفوه ، أقنعت البقية الباقية من المترددين ، كما أنها غيرت رأي الكثير من الذين كانوا قد قرروا التصويت ضد الانضمام .

فعمليات استعمال الوسائل الإعلامية لخلق إجماع حول رأي معين هو أمر بديهي ، وما المثال المذكور إلا نقطة في بحر يصعب الدخول فيه ويستحيل الخروج منه . فالتاريخ مليء بأمثلة أكثر درامية كما هو الحال مع الأنظمة الديكتاتورية التي تولي لهذه الوسائل أهمية كبرى . ولكني أكتفي بهذا المثال لأني أسوقه من واقع ديمقراطي يمكننا من

التأمل في حيثيات القضية في إطار يسمح بالتعدد ويلغي فكرة الصوت الواحد . فحتى تلك الدول التي تضمن قوانينها حرية الصحافة لاتستطيع ، ساعة التطبيق ، احترامها بشكل حقيقي . فكلها تسعى بشكل أو بآخر إلى التحكم في وسائل الإعلام منذ أن عاينت الحكومات مدى تأثيرها في المجتمع والدور الذي تلعبه في تكوين الرأي العام ، خاصة تلك التي يكون تأثيرها أكثر فعالية . وهكذا ، فإن أغلب الديمقراطيات تترك الصحافة المكتوبة في يد الخواص وتعمد إلى التحكم ، ولو جزئيا ، في تلك المسموعة والمرئية . وهذا لايعني " أن الصحافيين يتلقون تعليماتهم مباشرة من الوزراء ، ولكن إذا دعت الضرورة ، فإن الحكومات لاتتردد في تأكيد حضورها عبر وسائل الترهيب أو الترغيب التي تتوفر عليها "(18) . وهكذا ، نجد كيف أن الحكومة الفرنسية ، التي كانت مستاءة من الأخبار المبثوثة على قناتي (RTL) و(Europe 1) - والتي كانت تساهم فيها الدولة بحصة صغيرة - خلال أحداث 1968 ، عمدت إلى التلميح إلى إمكانية قطع الخطوط التي تربط الأستديوهات بهوائيات البث التي يملكها

18 - Jean Louis Servan Schreiber : Il potere d'informare . Milano . Mondadori . 1973 . P 293 .

البريد الفرنسي . كما أن حكومة إدوارد هيث المحافظة استعملت كل ثقلها للضغط على (البي . بي . سي) خلال يونيو 1972 لإلغاء برنامج وثائقي يقدم وجهة نظر الإرهابيين الإيرلنديين . بينما تصرفت حكومة فيلي براندت بشكل مغاير ، حيث قامت بتفتيش مكاتب الأسبوعية " Quick " في كل من بون وميونيخ بحجة القيام بمراقبة جبائية ، وذلك مباشرة بعدما قامت الأسبوعية المذكورة بنشر رسالة سرية تحمل استقالة وزير الاقتصاد كارل شيلر . أما في الولايات المتحدة ، حيث القنوات الإذاعية والتلفزيونية في ملك الخواص ، فإن الأمواج توجد في يد الدولة حيث تقرر الحكومة موجات البث لكل إذاعة على حدة مرة كل ثلاث سنوات ، وهو ما يعني سلاحا حقيقيا يتم استغلاله لتهميش قنوات وتقوية أخرى ، وذلك حسب المصالح التي تمثلها[19] .

على هذا الأساس يجب الانطلاق ، ونحن نعالج موضوع العلاقة بين وسائل الإعلام والرأي العام ، من مسألة لايمكن إغفالها ساعة طرح القضايا المقترنة بالتأثير المتبادل بين البنيتين . فوسائل التواصل التي كانت غايتها مبدئيا

19 ـ المصدر نفسه .

المساهمة في خلق فضاء يسهل إمكانيات التواصل بين الأفراد ، ثم من خلال ذلك بين الجماعات البشرية ، أصبحت على المستوى العملي مجرد أدوات في يد البعض يسخرها لأهداف مختلفة تتحرك بين ما هو سياسي إلى ما هو اقتصادي . وفي هذا التحرك يلعب الفرد دورا أساسيا في مجتمعات حديثة صنعت منه عنصرا مستهلكا لايتوفر على أدنى مستلزمات النقد التي تكفل له التفريق بين الغث والسمين .

ففي زمن الصناعة الثقافية ، لم يعد باستطاعة الفرد تقرير الأشياء بشكل مستقل ، فـ " الصراع بين الحافز والضمير تم حله بالإذعان بشكل تام وبدون أي روح نقدية للقيم المفروضة "[20] ، فما كان يسميه الفلاسفة بالحياة تم تقليصه ليشمل فقط " ما هو فردي ، ثم بعد ذلك ما هو استهلاكي بحت ، حيث لم تعد الحياة سوى تكملة للعملية الإنتاجية ، بدون أية استقلالية أو وجود جوهري خاص بها "[21] ، أي أن الإعلام كصناعة يولي أهمية أساسية للفرد كمستهلك لمنتوج معين تتحكم فيه نفس قوانين السوق

20 - Mauro Wolf : Teorie delle comunicazioni di massa . Milano . Bompiani , 1995 . P 84 .

21 - نفسه .

التي تتحكم في أي منتوج آخر . وهكذا ، فإنه حتى لما يتم الزعم بحرية هذا الفرد في مجتمع مفتوح كما تريد أجهزة الصناعة الثقافية إقناعنا[22] ، فإن هذا الفرد في نهاية الأمر مجرد حلقة تساهم في دوران الآلة الإنتاجية ، والتي نتناولها هنا من خلال الجانب الإعلامي .

وهكذا ، فإن قوة تأثير هذه الأجهزة يتجسد عبر دخول في نظام من الأنماط تفرضه القيم الثقافية المهيمنة في مجتمع ما ، وهو ما لايخول بأي حال من الأحوال الخروج عن تصور فكري ينطبق وإيديولوجيا المجتمع الذي ينتمي إليه الشخص . هذه القوة وهذه السيطرة التي تتمتع بها وسائل الإعلام هي ما يمكن تشبيهه بحالة السجين الذي يرضخ لأقصى أساليب التعذيب ليعترف في النهاية بأي شيء يتم إلصاقه به ، حتى تلك الأشياء التي لم يقترفها . فقوة هذه الأدوات يجعل من الصعب إن لم نقل من المستحيل

22 ـ كلود بوريس يؤكد في " Les tigres de papier : Crise de la presse et autocritique du journalisme " على كون " الرقابة الممارسة من طرف السلطة الاقتصادية والاجتماعية هي مباشرة بشكل كبير ... وبدون أن تعتمد على قوانين مكتوبة هي أكثر نجاعة من أي قانون مكتوب " وهذا يحثه على الوصول الى نتيجة يجملها بأنه " في العمق ، فإن الليبرالية الزائفة هي أخطر بكثير من كل الانظمة الديكتاتورية ، حيث الجميع يعرف من هو الرقيب " . ص 18 .

الوقوف في وجهها ، لأن عمليات التلاعب التي تتأسس على عمليات مدروسة سيكولوجيا ، تجعل من المتلقي مجرد كركوز في يد من يملكون تلك الأدوات . ومن هنا يصبح من الضروري الوقوف على من يسيطر عليها حتى تكون هناك إمكانية ، ولو ضئيلة ، لفهم النوايا التي تتحكم في عملية صنع العقول .

إن هذا الوضع هو الذي دفع كلود بوريس إلى أن يرفع صوته منددا بتصرفات أصبحت تشكل الزاد اليومي لعالم الصحافة ، فالصحافيون لايصورون واقع البلاد ، لأنهم ليسوا " في خدمة القارئ أو الجمهور ولكن في خدمة أولئك الذين يملكون ولو جزءا صغيرا من السلطة أو السلطة المضادة . هذا دون أن ننسى سلطتنا الصغيرة : الصحفيون هم كذلك في خدمة مصالحهم "[23] . فـ " حينما ندخل إلى مكتب أحد المسؤولين عن صحيفة ما ونقدم له مقالا يحاول تجاوز السطحية العامة ، فنحن نعرف أنه سيكون سببا في إشعال فتيل مناقشة حادة مثل تلك التي علينا إقامتها مع بائع الزرابي : نتفاوض حول كلمة ، حول نعت ، حول العناوين الصغيرة وحول نقط الحذف . علينا دائما أن نبحث

23 - Claude Boris : Les tigres de papier : Crise de la presse et autocritique du journalisme . Paris : Seuil . 1975 . P 15 .

على نقطة تستطيع أن تجمع بين الحقيقة ، مصالح السلطة أو تلك التي يدافع عنها مالك الصحيفة وما يفترض أنه رأي القارئ .. أخبارنا هي دائما تحت رحمة الصداقات ، المكالمات الهاتفية والرسائل المعبرة عن استياء أصحابها "[24] .

فالصحفي أصبحت مهمته في الواقع مقتصرة على خدمة مصالح معينة هي في أساسها مقترنة بالإطار السياسي والاقتصادي ، وكذا بالخلفيات الثقافية المهيمنة التي تجعل منه أداة لاتستطيع الخروج من مرتكزات تحددها نوع ثقافة القارئ الذي يتوجه إليه الخطاب . وهكذا ، فإن الكتابة أصبحت مجرد قالب لترسيخ كل الرواسب الثقافية ، لأن الصحفي عليه " أن يكتب بالشكل الذي يعجب أكبر قدر ممكن من الناس ، فنحن نتوجه إلى الجمهور العريض . لذا ، فإنه يتوجب علينا أن نبني الكلمات ونصوغ التركيبات بالشكل الذي يعتقد رؤساؤنا بأنه يتفق مع رغبة أكبر قدر من " الزبناء " .. كل هذا يفسر موجة التبسيط التي تطغى على مختلف وسائل الإعلام المكتوبة وغير المكتوبة "[25] .

---

24 ـ نفسه . ص . 19 ـ 20 .
25 ـ نفسه . ص 20 ـ 23 .

إن هذه الصرخة التي أطلقها كلود بوريس في السبعينيات تجسد كل الشرور التي لازالت تعاني منها وسائل الإعلام التي لم تستطع التحرر من القيود الحريرية التي تطوق عنقها بلبونة ، ولكنها لاتتوانى من خنقها إذا ما هي خرجت عن الطريق المرسوم لها .

في داخل هذا الإطار يجب أن نقف على الآليات التي تسند صورة العربي في المتخيل الغربي ، وذلك لكي نتلمس الخط الذي يجب أن يحدد لنا مدى أهمية دور وسائل الإعلام في تكريس صورة رديئة تجعلنا نصاغ كمرادف لكل ما هو وحشي . فالإعلام الغربي " يبيعنا " بالشكل الذي يعرف بأننا ك " سلعة " يجب أن تقدم للقارئ بالطريقة التي ترسخت في ذهنه منذ زمان ولأسباب تاريخية أساسا . ●

« .. الإنسان العربي لايشكل سوى قطعة من منظومة فكرية يذهب ضحيتها أولا الإنسان الغربي نفسه . »



العربي كبضاعة إعلامية

تروي عالمة الاجتماع فاطمة المرنيسي واقعة يوردها الصحافيان الإسبانيان خافيير فالينثويلا وألبرتو ماسيغوسا في كتابهما : « la ultima frontera » فبعد الأحداث التي تلت نشر سلمان رشدي لكتابه « آيات شيطانية » ، نشرت العديد من وسائل الإعلام الغربية لائحة بأسماء كتاب ومثقفين عرب حكم عليهم بالإعدام من طرف آية الله الخميني ، من ضمنهم اسم الباحثة المغربية وهو " ما استغربته لأنه لدي العديد من الأصدقاء الإيرانيين

الذين يقدرون كتاباتي ، توجهت إلى ممثل السفارة الإيرانية بالرباط وأريته الصحف الغربية . ثم سألته هل حقا أوجد ضمن لائحة سوداء ؟ لأنه لو كان الأمر كذلك ، فإنني لن أختفي كما أنني أرفض إدانتي بدون محاكمة . ورد علي المسؤول الإيراني بأن القضية لاتعدو كونها خبرا كاذبا يهدف إلى الإساءة للجمهورية الإسلامية . طلبت منه تكذيبا وبعد التشاور مع طهران قدم لي وثيقة رسمية تنفي وجود اسمي في أية لائحة سوداء . بعدها عرضت على « لوموند » و« جون أفريك » نشر التكذيب ولكنهما لم يبديا أي اهتمام بذلك "[26] .

هذه الواقعة هي مثال لتتبع الكيفية التي تتعامل بها وسائل الإعلام الغربية مع الخبر العربي أو الذي له علاقة بالعالم الإسلامي . فهي تكرس كل طاقتها لتأكيد صورة معينة يلعب فيها الإنسان العربي والمسلم دور المتخلف عن ركب الدول الغربية . ففاطمة المرنيسي في هذه الحالة مجرد أداة تستخدم لإبراز عداء الدول العربية والإسلامية لكل معاني الحداثة التي تعني أساسا تمثل المفاهيم الحضارية

---

26 - Alberto Masegosa : La ultima frontera . Marruecos , el vecino inquietante . Madrid : Temas , Javier Valenzuela de Hoy . 1996 , pp 200 - 201 .

الغربية .

والمسألة وإن كانت تأخذ حجما أكبر فيما يتعلق بالدول العربية والإسلامية ، فإنها لاتستثني شعوبا أخرى . فيكفي أن يشاهد المرء أفلام " رعاة البقر " ليخرج بأسوء انطباع عن الهنود الحمر ، بل إن الاعتقاد بالتميز والسمو الغربيين يستقي جذوره عبر التاريخ من تصورات عنصرية يبثها عبر أدبه وفنونه .

فكم هي موحية أغنية " الملائكة الصغار السود " للمطرب الكوبي ماتشين التي عاتب من خلالها الفنانين الغربيين ، الذين لم ينزعوا أبدا إلى تزيين جدران الكنائس بصور لملائكة ببشرة سوداء . وشكسبير بكل روائعه لم يتوان في تكريس كل حقده لتجسيد اليهود بشكل مستهجن ، خصوصا في « تاجر البندقية » . بل إن السيد المسيح نفسه يتم تجسيده دائما ببشرة شديدة البياض وأعين زرقاء ، كما لو كان من مواليد أوسلو وليس بيت لحم . فالجمهور الغربي يحمل قناعات فكرية معينة يصعب عليه الخروج عنها .

إن الغرب حتى وهو يصور نفسه كمرادف للحضارة المعاصرة لايمكنه إلا أن يكون تجسيدا لذلك الإحساس الإنساني والطبيعي ، الذي يجعل من كل شخص يعتقد

بتفوقه وبتفوق طائفته على الآخرين إحساس طبيعي ، ولكنه مدان إذا نحن لاحظنا كيف أن كل الزمن الذي مر من تاريخ الإنسانية لم يفد في تحرير الإنسان من هذه الرواسب التافهة والمهينة .

وهكذا ، فإن الإنسان العربي لايشكل سوى قطعة من منظومة فكرية يذهب ضحيتها أولا الإنسان الغربي نفسه الذي يدفع ثمن أفقه الضيق من خلال تكريس عداوات هي أساسها واهية ، ولكنها تفيده للحفاظ على توازنه الشخصي الذي بناه على أسس عتيدة تعتمد على تلك الصور التي ترسخت في ذهنه والتي لم يعد بالإمكان زحزحتها . والعرب من هذه الناحية يلعبون دورا أساسيا في هذه المنظومة التي قررت أن تجعل منهم عدوا تاريخيا تجب محاربته .●

« لا ينشأ الستريوتيب عن فراغ أو كمجرد نتيجة للنشاط المعرفي .. »

الستريوتيب كمفهوم

مفهوم الستريوتيب ، كما يتم استعماله في علمي النفس والاجتماع ، غايته هو تحديد " الفكرة " أو مجموعة الأفكار ، التي تجسد خلفياتنا المعرفية ، بشكل مبسط جدا وبطريقة تعميمية ، حول مجموعة بشرية يتم استيعابها بصفتها " الآخر " . كما أن هذا المفهوم يشمل كذلك مجموعة من الأحداث التي تبدو لنا مختلفة عن عالمنا الذاتي و" العادي " .

إن هذا التصور يتميز بكونه يعبر عن أسس فكرية

تتقاسمها فئة كبيرة من الجمهور ساعة إطلاق أحكامها ، خاصة حينما تقترن هذه الأحكام بتحديد مميزات " الآخر " انطلاقا من انتماءاته القومية والعرقية .

في دراسة نفسية اجتماعية تم إجراؤها في الثلاثينيات على عينة من الجامعيين الأمريكيين قامت مجموعة من الباحثين بمحاولة فهم المقاييس التي يتجلى عبرها المفهوم المذكور . وهكذا طُلبَ من العينة وضع الصفات التي يرونها ملائمة لتحديد عشر مجموعات وطنية وعرقية . ومن بين أمثلة أخرى ، كان حكمهم على الإنجليز بأنهم " رياضيون ، أذكياء ، يحافظون على التقاليد " ، على الصينيين بأنهم " متطيرون ، ماكرون ، محافظون " ، على الإيطاليين بأنهم " فنانون ، مندفعون ، عاطفيون " ، وعلى الأتراك بأنهم " قساة ، متدينون ، خبثاء " .

هذه الأحكام تم التعبير عنها بما يشبه الإجماع مؤكدة بهذا الشكل توافقها مع الصورة التي كانت توفرها وسائل الإعلام في تلك الحقبة عن الشعوب المذكورة . كما أن هذه الدراسة أوضحت كيف أن الصور تترسخ في المخيلة حتى بدون تجربة خاصة ، يمكن أن تتأكد بناء عليها . فكل الطلبة الذين شاركوا في الدراسة لم يطأوا في حياتهم تركيا مثلا ،

ومع ذلك لم يتوانوا في إصدار أحكام عليها [27] .

هذا يثبت كون الأحكام المسبقة لها رصيد في مخيلاتنا ، مما يجعلنا نصور العالم من خلال بنيات فكرية تهدف أساسا إلى ترسيخ مكونات غايتها الحفاظ أو الدفاع عن مصلحة اجتماعية معينة . بشكل أوضح ، الستيوتيب الذي يتم تجسيده عبر التعامل اليومي لايشكل طريقة نمطية للتفكير ، بل له وظيفة تمييز مستمرة بين مختلف الطوائف البشرية . هذه الوظيفة لايمكن فهمها إلا في إطار مصلحي غايته العمل على المحافظة على أدوار اجتماعية معينة . وهذا يفسر كيف أن الستريوتيب ينشأ أساسا في سياق الأغلبية ساعة حكمها على الأقلية ، أو في أوساط الطبقات المحظوظة لحظة تكريسها للأفكار المهيمنة .

الوقوف على هذه الحيثيات أوصل الدارسين إلى بعض الاستنتاجات المهمة حول عملية بناء ستريوتيب معين رابطين إياه بوظيفته المصلحية :

أ ـ الستريوتيب لاينشأ كتعبير عن أي عارض نفسي أو اجتماعي (عقلية متحجرة ، أخطاء في الفهم والتأويل أو حقد عرقي ..) ، بل كنتيجة للقوالب النمطية التي يقسم

---

27 ـ انظر موسوعة UTET . مج . التاسع عشر . ص . 362 .

بها الإنسان أحداث تجربته .

ب ـ الستريوتيب لاينشأ من فراغ أو كمجرد نتيجة للنشاط المعرفي ، ولكن نشأته تحصل في عالم من الطبقية التي تفصل بين المجموعات والطوائف الاجتماعية المتنازعة بشكل مستمر ، في عالم فيه تمرير الصراع من أجل السلطة . في عالم الأفكار والدلالات .

ج ـ الستريوتيب يعمل ليس فقط كمكون يتحكم في تصرفاتنا ، لكن كذلك كمرشد وموجه حقيقي . ساعة تنظيم جزء من تجربتنا الخاصة يتم رفضه أو قبوله انطلاقا من مدى موافقته للصورة الموجودة في مخيلاتنا أم لا [28] .

هذا التقسيم سيسهل كثيرا مهمة من يريد استقراء الطريقة التي يتم بها تصوير الإنسان العربي في وسائل الإعلام الغربية ، فانطلاقا من الوظيفة المصلحية للستريوتيب يمكن تحليل خلفيات الصورة المذكورة في إطار أوسع من ذلك الذي يقف عند حدود رد الفعل المشوب بكثير من النزق والتسرع .●

---

28 ـ نفسه ، ص ، 362 ـ 363 .

« يعرف كثير من المثقفين العرب نوعية القصص التي تعجب القارئ الفرنسي ، الإيطالي أو الأمريكي .. لذلك يعطونه ما يريد أن يسمع .. »

العربي كستريوتيب

الذين أتيحت لهم فرصة الذهاب إلى غرناطة وزيارة أحد أجمل المعالم الحضارية التي تركها العرب هناك (قصر الحمراء) سيرى كيف أن كل الستريوتيبات تتلخص بشكل واضح من خلال كلام المرشدين السياحيين والسواح الأجانب والإسبان . فالحديث ينطلق بشكل سريع من روعة المعمار ليصل إلى علاقات أبو عبد الله النصري ، آخر ملوك غرناطة ، بالنساء . فالجميع يتحدث عن أنه كان متزوجا بـ 365 امرأة . وبعملية حسابية بسيطة نفهم أن

عدد نسائه يتوافق وأيام السنة ، أي ، وبكلام أكثر وضوحا ، فأبو عبد الله كان يضاجع كل يوم امرأة مختلفة .

الأب كبانياس ، أحد أهم المختصين في تاريخ قصر الحمراء ، كان يردد على تلامذته كيف أنه كلما سمع مرشدا سياحيا يردد هذه الأسطورة إلا وآخذه مؤكدا له بأن الإسلام يمنع الزواج بأكثر من أربعة ، ثم إن أبا عبد الله في الواقع كان متزوجا من واحدة فقط أجمع المؤرخون على ولعه بها . جواب المرشدين لايتغير أبدا : " نحن نعرف ذلك ، ولكن السياح يعجبهم سماع مثل هذه القصص عن العرب " .

تتيت وبيب صحفيان إيطاليان يشرفان على " سواح بالصدفة " ، أحد البرامج الأكثر نجاحا في قناة الرأي الثالثة ، ينتقلان في إحدى الحلقات إلى مراكش حيث يصوران العديد من المشاهد التي تدور في ساحة جامع الفنا . في زاوية منها كانت امرأتان ملثمتان تقومان بوضع الحناء في يد السائحات المنبهرات بروعة النقش . سبب اللثام هو أن زوجي المرأتين لم يسمحا لهما بالخروج إلا بعد أن أرغماهما على ارتدائه ، كما أكدتا للصحفية التي أردفت بـ " أن الأمر طبيعي ما دمنا في دولة عربية " . بعد حديث قصير بينهن اتفقن (الصحفية والمرأتين) على

الالتقاء في الفندق مساء .

في الثامنة كانت الصحفية في بهو الفندق تنتظر السيدتين اللتين لم تتأخرا في الوصول . كانتا فتاتين في ربيع عمرهما ، سافرتا الوجه وبلباس أنيق و " حديث " ، قميص شفاف وسروال جينز ، بدهشة سألتهما الصحفية عن الجلباب واللثام . بعفوية وبساطة أجابتها إحداهما : " تلك بذلة العمل ، نلبسها لأن السـياح يعجبهم رؤيتنا بهذا الشكل " .

وعلى هذا القياس يمكننا أن ننظر إلى ما يكتبه بعض المثقفين العرب حينما يخاطبون المتلقي الغربي . فكثير منهم يعرف نوعية القصص التي تعجب القارئ الفرنسي ، الإيطالي أو الأمريكي .. لذلك يعطونه مايريد أن يسمع حول الدين الإسلامي ، حول المرأة ، حول فحولة الرجل العربي وقسوته .. إلخ ، مواضيع في مجملها لاتخرج عن عوالم « ألف ليلة وليلة » التي ألفها والتي لم يعد يستطيع الخروج من فضائها .

إن هذا الستريوتيب يتجذر في مخيلة الإنسان الغربي الذي يمرره عبر أنواع مختلفة . فالعربي تتحرك صورته بين تلك الرومانسية التي وضعها عنه شعراء القرن الثامن

عشر ، والإرهابية التي تضعها عنه وسائل الإعلام الحديثة ، مرورا بتلك التي تجسده كثري غبي أو كمهاجر جاهل . كل هذه الصور تساهم غالبا في التأكيد على تفوق الإنسان الغربي ، ولكنها في كثير من الأحيان تخفي حقدا حقيقيا لايمكن فهمه إلا في إطار خلفية مليئة بالصراعات . ●

« أي هجوم يستهدف الستريوتيبات الموجودة في أذهاننا يأخذ حجم الهجوم على أسس عالمنا .. »

خلفيات الستريوتيب العربي

كتاب ليبمان « الرأي العام » الذي أشرت إليه في الصفحات السابقة كان بمثابة الصدمة بالنسبة للرأي العام الأمريكي ، لأنه فضح كل الممارسات التي تهدف إلى صنع الإجماع حول فكرة أو أفكار معينة ، فرغم أن الكتاب تم إصداره في 1922 ، إلا أنه يبقى شديد المعاصرة حينما نريد أن نفهم الآليات المعتمدة لصناعة الرأي العام ، وخصوصا (في حالتنا نحن) لفهم خلفيات الصورة الرديئة التي يحملها هذا الرأي العام عن الإنسان العربي .

فليبمان وضع نصب أعينه مسألة كبيرة الأهمية تعاني منها كل الدول التي تنعت نفسها بالديمقراطية : حيث أن نواة أطروحته كانت هي أن " الديمقراطية في شكلها الأصلي ، لم تواجه أبدا بجدية ، المشكل المتولد عن عدم أوتوماتيكية توافق الصور التي تتواجد في أذهان الأشخاص وحقيقة الواقع الخارجي "[29] ، أي أن الديمقراطية التي يجب أن تفسح المجال بشكل يسمح من الاقتراب إلى الحقيقة ، أو على الأقل إبراز أغلب وجوهها لم تتمكن من التغلب على الأفكار المسبقة المستقرة في الأذهان ، التي تبقى في نهاية الأمر عائقا حقيقيا لبلوغ تعايش أكثر انسجاما بين مختلف الطوائف الإنسانية .

إن هذا الطرح أوصله إلى وضع أصبعه على مصدر الإشكالية ، فهو يتناول الستريوتيب كنتيجة معينة تلقنها الأسرة ، الكنيسة ، المدرسة ، الجامعة .. إلخ . كل مرحلة من هذه المراحل التي يمر منها المرء تساهم في رسم معالم شخصيته ، وكذا كل الخلفيات الفكرية والإيديولوجية الصانعة لتصوراته .[30]

إن خلق الستريوتيب نفسه مقترن بشعور إنساني طبيعي

---

29 - W. Lippmann : " L'opinione pubblica " , p 31 .
30 - نفسه ، ص - 81 .

يحثه على بذل أقل جهد ممكن ، لأن أي تغيير محتمل لأي صورة مهما كان بسيطا يمر عبر تراكم معرفي يحتاج في أساسه إلى التزود بأكبر قدر من المعلومات ، وهو ما يعني القراءة والمتابعة لكثير من الحقائق انطلاقا من تنويع مصادرها ، وهو أمر في حد ذاته صعب المنال ، ليس فقط لانعدام الاهتمام بالقضايا التي تجري بعيدا عن محيط الإنسان الغربي ، ولكن كذلك بمفعول تعتيم صحفي يعمد إلى تأكيد كل الأفكار المسبقة الموجودة ، لأنه بهذا الشكل يضمن بيع منتوجه الإعلامي .

فالإعلام الذي فهم أن الستريوتيب هو وليد تراكم معرفي مقترن بوعي يجد فيه آليات دفاعية عن موقع داخل المجتمع أو عن مصلحة معينة ، استوعب استيعابا حقيقيا أنه من السهل تكريس تلك الأفكار المسبقة على العمل على تغييرها . لذا ، فإنه يلجأ عبر منطق موضوعي إلى وضع " الحقائق " التي ينقلها في قالب يتماشى والآراء المتفق على صحتها داخل المجتمع .

النظام الستريوتيبي هو أساسا تأكيد لقيم بني العالم عليها ، عالمنا الخاص بنا . لأن كل واحد منا ، حتى عندما يزعم التواضع ، هو عالم خاص له أفكاره وقيمه ، الأمر

الذي يدفعه دفعا إلى عدم التنازل قيد أنملة عن :" الحقيقة " التي تم تكوينها شخصيا والتي ساهمت في خلق توازنه . وهكذا ، فإن أي هجوم يستهدف الستريوتيبات الموجودة في أذهاننا يأخذ حجم الهجوم على أسس عالمنا ، وهو ما لانسمح به حينما يتعلق الأمر بقضايا جوهرية .

وإذا كانت من قضية سكنت متخيل الإنسان الغربي ساعة الإنسان العربي والمسلم ، فهي تلك التي قرنته بعداوات استمرت قرونا طويلة تولدت عن صراعات تاريخية سجلها لنا التاريخ بكل قسوة . الأمر الذي لم يترك مجالا لقراءة الأوضاع في العالم العربي بعيدا عن عقلية لم تستطع حتى يومنا هذا تجاوز الحروب الصليبية . ●

« مهمة الإعلام لم تعد العمل على تغيير المعتقدات الخاطئة ، بل فقط تكريسها إذا كانت تحمل في طيها ربحا ماديا . »



الحروب الصليبية

كم كانت دهشة الغرب كبيرة وهو يقرأ كتاب أمين معلوف « الحروب الصليبية كما رآها العرب » . فما ذكره الكاتب اللبناني ، نقلا عن المؤرخين المسلمين ، أعطاهم صورة أخرى لم تكن لتتبادر إلى أذهانهم . فكل ما كتب عن المسلمين " الكفار " كان تبريرا لحرب غايتها المعلنة هي نشر مبادئ المسيحية . وهو ما نتجت عنه صورة حاقدة كرستها كتب التاريخ وأسكنتها في مخيلة لم تستطع التحرر من هيمنة الكنيسة الوسيطية

إلا في القرون الأخيرة . ولكن رغم هذا التحرر ، فإن رواسب التفكير الصليبي لم تستطع حتى الآن ترك المكان لرؤية أكثر تفتحا حيال الإنسان العربي المسلم .

البروفيسور فرانكو كارديني ، أحد أهم المتخصصين في تاريخ القرون الوسطى ، لم يتردد في اعتبار كل المسألة تتلخص في كوننا " أمام ظاهرة متأسسة على جهل حقيقي ". وأنا أعتقد بأن هذا الجهل متواجد عند الطرفين ، في العالم العربي الإسلامي وفي العالم الغربي ، ولكنني لا أستطيع الحكم على ما يجري في العالم العربي . فيما يتعلق بالغرب وبإيطاليا خاصة ، فإنه يمكننا الحديث عن اعتماد تصور نمطي للحكم على العرب والمسلمين . هذا التصور يتأسس عمليا على اعتبار الإسلام دينا منغلقا ومعتديا ، وعلى تجسيده كدين غير متسامح . فالإسلام يتخذ صورته في العالم الغربي انطلاقا من تاريخ مليء بالصراعات والنزاعات مع المسيحية بشكل مستمر ولمدة ثلاثة عشر قرنا "[31] . ويؤكد البروفسور كارديني بأن هذه الصورة في الواقع منافية تماما للحقيقة التاريخية " التي نعرفها نحن

---

31 ـ في لقاء شخصي مع الأستاذ كارديني خلال الملتقى العلمي الذي ضم جامعتي الأزهر وفلورانسا (8 ـ 10 ماي 1997) .

وبشكل جيد ، لأننا ندرسها في المدارس والجامعات .
فالمعلومات التي وصلتنا عبر الحقب تذكر بأن المسلمين والمسيحيين واليهود يعرفون بعضهم البعض منذ ثلاثة عشر قرنا ، يسود بينهم احترام متبادل ، يتاجرون فيما بينهم ، وفي كثير من الحالات كان هناك تعايش في نفس المدن بشكل سلمي وإيجابي . في هذه الحالة لابد من الوقوف عند النموذج الإسلامي الذي أعطانا دروسا مستمرة عن معايشة مثالية بين مختلف العقائد : في سوريا ، في مصر أو في إسبانيا ، حيث عاش المسيحيون واليهود يمارسون شعائرهم في حرية تامة . بل إذا كان من نقد يجب توجيهه ، فهو انغلاق العالم المسيحي في فترات معينة من تاريخه حيث كانت تستحيل شروط احترام معتقدات الآخر . هذا الوضع استمر طويلا ولم ينته إلا خلال العقود الأخيرة .. الغربيون في الواقع يعرفون هذه الأشياء ، لأنهم يدرسونها ولكنهم لايحسنون تأويلها ، ولأنهم حينما يصلون إلى مرحلة التفسير والفهم ، فإنهم يتركون الغلبة لتلك الأفكار المسبقة التي لم تتحرر بعد من رواسب الحروب الصليبية [32] .

فكما نلاحظ من ارتسامات البروفيسور كارديني ، فإن

32 ـ نفسه

أهم خلفية تقف وراءها صورة العربي المتجسدة في ذهن المتلقي الغربي هي تلك المقترنة بالحروب الصليبية وبكل الأحقاد التي حملتها والتي جعلت ، وتجعل ، من الصعب العمل على تغيير هذه الصورة بدون الوقوف على أسسها الحقيقية التي لازالت تكرس عبر نصوص مدرسية وجامعية أحقادا لم يعد لها من مبرر سوى محاولة تبسيط الأشياء من خلال اختلاق أعداء .

ففي نصوص التاريخ المدرسية التي تلقن للطلبة الإسبان مثلا ، نجد كتبا تتجاوز 500 صفحة تتناول مختلف المواضيع المرتبطة بماضي إسبانيا لايتعدى الحضور العربي فيها العشر صفحات . أعطي المثال الإسباني لأن إحدى أهم فترات الازدهار التي عاشتها الأندلس كانت تحمل طابعا عربيا استمر لمدة ثماني قرون . ولكن كل هذه الفترة المعروفة بغناها الحضاري لم تستحق في نظر واضعي البرامج الدراسية الإسبانية سوى عشر صفحات تتمحور حول الحروب أكثر مما تتطرق إلى إنجازات حضارية .

إذن ، فالخلفية التاريخية التي تتركز عليها هذه الصورة تتغذى من حقب مملوءة بالصراعات . هاته الأخيرة زرعت

أحقادا[33] يتم استغلالها من طرف كل الذين يبحثون عن الصيد في الماء العكر . كما أنها تشكل زادا حقيقيا بالنسبة للذين يحسنون استعمال الخطابات الديماغوجية التي تهدف أساسا إلى تكريس أوضاع يلعبون فيها دورا رئيسيا لايستطيعون الاستغناء عنه لأجل خطاب أكثر تسامحا وذكاء لتوافقه مع واقع الأشياء ، وكذا لتأسيسه أسلوب حوار يتماشى وزمن من المفروض فيه التميز بنضج إنساني أكبر .

إن مولدي هذا النوع من الخطابات موجود وبكثرة في الجانب الغربي ، وموجود عندنا كذلك وبوفرة . كل منهما يعمل على ترسيخ حقد بليد مبني على جهل بالتاريخ وجهل بإمكانيات الإنسان على تجاوز جانبه المنحط . هذا الجهل يتجلى أساسا في كون النزاعات مع الغرب المسيحي على تعددها هي قليلة جدا إذا ما قورنت بفترات السلام

33 ـ في خاتمته لكتاب «الحروب الصليبية كما رآها العرب» [illegible] أمين معلوف بهذه النتيجة : « وإذا كان العالم العربي [illegible] من هؤلاء الفرنج الذين عرفهم برابرة وانتصر عليهم ولكن [illegible] نجحوا بعد ذلك في الهيمنة على الدنيا . فإنه لايستطيع أن [illegible] اعتبار الحروب الصليبية مجرد فصل من ماض انقضى [illegible] يدهش المرء عندما يكتشف إلى أي مدى ظل موقف العرب [illegible] متأثرا [illegible] إلى اليوم أيضا بأحداث [illegible] ترجمة عفيف دمشقية ، بيروت [illegible] ص 327 .

والتعاون . ولكن لا أحد يهمه تسليط الضوء على هذه
الحقيقة لأنها لاتنفع من يستفيدون من وضع حواجز بين
الثقافتين . من بين هؤلاء العاملون في وسائل الإعلام
الذين يعرفون أكثر من غيرهم ، أن مصدر عيشهم
مقترن بتكريس الخبر لمجموعة من التصورات الذهنية التي
يستحيل الخروج عنها . فالرجل العربى " المتوحش ،
الإرهابي ، سفاك الدماء " هو أكثر أهمية من ذاك
" المعتدل ، الهادئ والمحاور " ، لأن هذا الاخير يخرج عن
تلك الصورة المألوفة . فصورة العربي لدى الإنسان الغربي
تجد لها مرجعية في التاريخ الوسيط ، وتجد لها استمرارية
في التاريخ الحديث ، لأن مهمة الإعلام لم تعد العمل على
تغيير المعتقدات الخاطئة ، بل فقط تكريسها إذا كانت تحمل
في طيها ربحا ماديا .

من هذا المنطلق يمكن فهم وبشكل أفضل ، العلاقة بين
الصحفي والجمهور الذي يتوجه إليه . فـ " الحقيقة " هي
أكثر من نسبية حينما تتعارض والمصالح الاقتصادية .
فالإعلام الذي أصبح ومنذ مدة صناعة غايتها تحقيق أرباح
مالية لم يعد بمقدورد الخروج عن " تقاليد صحفية " . يمكن
تلخيصها في كون " محاولة تغيير الأفكار المسبقة تزعج

الرأي العام أكثر من الخبر الكاذب الذي يحترم تلك الأفكار "[34] ، والغاية الرئيسية من هاته " التقاليد الصحفية " هي الوصول إلى أكبر قدر من القراء ، المستمعين أو المشاهدين ، لأن ذلك تتم ترجمته فيما بعد بكمية الإعلانات التي يتم نشرها .

ولنكن واضحين ، فالقضية لاتعني فقط الصحافة ووسائل الإعلام ، بل هي مقترنة أساسا برأي عام هو نفسه غير مستعد للبحث عن الحقيقة حينما تتعارض مع مصالحه الاقتصادية . لنتذكر الدكتور ستوكمان في مسرحية « عدو الشعب » لإبسن ، فهو اعتقد أنه سيحصل على جائزة بعد اكتشافه بأن منبع المياه المعدنية بمدينته ملوث ، ولم يتبادر إلى ذهنه لحظة أن سكان مدينته غير مستعدين لسماع مثل هذه الحقائق ، لأنها تتعارض ومصلحتهم المادية ، فالمياه المعدنية هي مصدر رزقهم ، لذلك لم يتوانوا في إدانته .

إذن ، ففهم الخلفيات المنفعية التي تقف وراء خلق صورة معينة سيقربنا كثيرا من فهم الآليات التي تسند الصورة الموجودة في المخيلة الغربية عن الإنسان العربي . هذه

34 - De Benedetti : Anatomia del consenso ... p 7 .

الخلفيات ، التي تجد صدى لها سواء ساعة تحليل الصورة
المذكورة أو حينما يتم التفكير بشكل جدي في استراتيجية
ذكية تعمل على تغييرها ، لايمكن وضعها إلا في إطار عام
يتتبع أولا مختلف العناصر المشكلة لتصور معين عن
الإنسان العربي في ذهن الغربي . ●

« العالم العربي أثبت خلال القرون الأخيرة عن ضعف ومذلة تجعله في حاجة ماسة إلى الشفقة بدل العدوان المستمر . »

الأهداف المقصودة

أولا حاولت - فيما سبق - الوقوف على العلاقة بين الرأي العام الغربي ووسائل الإعلام ؛ الرأي العام باعتباره عنصر ضغط على الحكومات في المجتمعات الديمقراطية . ووسائل الإعلام لكونها تشكل الوسيط الذي يساهم في خلق أفكار معينة .

العلاقة كما رأينا تعتمد أساسا على تصور مصلحي . فعلى عكس من يعمدون دائما إلى البحث عن خلفيات إيديولوجية أو نفسية ، فقد حاولت رصد وظيفة العلاقات

بين مختلف البنيات التي تشكل صورة الإنسان العربي ومن خلالها تجسيد كيف أن رداءة هذه الصورة يتجلى ، على الأقل خلال قراءة أولى ، عبر لعبة ارتباط مصلحي بين الخبر ومستهلكه . فالصحافة التي يفترض فيها نوع من الموضوعية هي في الواقع مجرد أدوات تخدم مصالح معينة . هذه النتيجة كفيلة بتوضيح الطريقة التي تتعامل بها الوسائل الإعلامية مع الخبر العربي . أو إذا نحن أردنا الدقة ، فإنها تضعنا أمام نوعية الخبر الذي تترقبه الوسائل المذكورة لكي تبثه للمتلقي .

ثانيا : إذا كانت هذه الوسائل تتحكم في رأي الجمهور ، فهذا يعني بأن مَنْ يملكها يستطيع أن يمرر الخطابات التي تلائمه . هذا ما يجعل الكثيرين منا يشيرون بأصابع الاتهام إلى الأيادي المعادية للعرب ، التي تمارس هيمنتها على هذه الوسائل لتكريس صورة معينة . هذه النقطة في رأيي على أهميتها لايمكن أن تكون كافية لتفسير كل الحيف الذي يلحق بالإنسان العربي من خلال الصورة التي يتم تمريرها . فالصورة النمطية التي سكنت المخيلة الغربية والتي تستلهم مرتكزاتها عبر تاريخ حافل بأسباب الحقد والكراهية يسهل مهمة من يريد تكريس قالب عربي مشين .

ثالثا : طريقة تقديم الخبر يستجيب لنوعية العلاقات السياسية لكل دولة على حدة . أي أن الواقع السياسي والاجتماعي لكل قطر من الأقطار الغربية هو الذي يتحكم في نوعية الخبر الذي يتم تمريره . هذا يعني بأن كل ما تنقله وسائل الإعلام في الدول الديمقراطية هو تجسيد لتلك النزاعات السياسية التي تخفي صراعات أكثر تعقيدا تمس العلاقة بين مراكز الضغط المختلفة ، أي أن الخبر المحلي له أهميته لكونه يؤدي دورا أساسيا في تكريس هيمنة فئة أو تغييره . بينما الخبر الدولي ، بشكل عام ، يفقد هذه القيمة لكون ثماره لايمكن جنيها في إطار الصراع الداخلي .

رابعا : الإحساس بالتفوق الذي يمكن اعتباره شعورا إنسانيا طبيعيا ، يجعل من مهمة التقليل من قيمة الشعوب الأخرى عملية لها دورها في الصراع المنفعي . فمثلا الغرب حينما كان يغزو الشعوب الأخرى لأهداف استعمارية محضة لها ارتباط جذري بالمصالح الاقتصادية ، فإنه كان يربط ذلك بعمله على نقل الحضارة إلى تلك الشعوب " المتخلفة " . هذا الأمر " الطبيعي والمفهوم " يصبح أكثر تعقيدا حينما يتعلق بالشعب العربي . فإذا كانت كل الشعوب الأخرى تعاني من عقدة التفوق التي تميز الإنسان الغربي بشكل عام ، فإن

وضع العالم العربي في هذه الحالة يبدو أكبر تعاسة ، وذلك لاعتبارات تاريخية محضة ، فالعلاقة بين العالمين تتشكل عبر مرجعية تنضح حقدا نتيجة للصراعات المتكررة . فكل الصور التي تم تثبيتها عبر القرون الوسطى الحالكة والتي ترسبت بشكل أكثر عمقا خلال الحروب الصليبية ، تجعل من الشعب المتخلف ذو التقاليد الغريبة التي تتنافى بشكل تام مع كل التصورات الثقافية التي عرفتها الحضارة الغربية خلال القرون الأخيرة . هذه الصورة تتخفى وراء انعكاسات مختلفة ، لكنها في نهاية الأمر تصب في اتجاه واحد : الدين الإسلامي ، لأنه يشكل العمق الإيديولوجي الذي يعسر التسرب " الحضاري " الغربي الذي يخفي تسربا منفعيا ليس له من دور سوى استغلال الطاقات الاقتصادية المتوفرة في العالم العربي .

خامسا : هناك شيء أساسي يجب الانطلاق منه : إن الإنسان عادة ما يبني تصوراته على منطق قطعي . ففي أغلب الأحيان نحكم على الأمور ليس بعد المعاينة ، بل قبلها ، لأننا ننطلق من الأحكام التي تشكلت في أذهاننا عبر الثقافة التي ننتمي إليها . فنحن كعرب مثلا لنا رصيد ثقافي يوجه أحكامنا ساعة اتخاذ مواقف معينة . فمثلا

حينما نتطرق إلى القضية الفلسطينية يصعب علينا النظر إليها بشكل موضوعي وتحليلها في إطار متغيرات جيوبوليتيكية ، أو حينما يقتل جندي أردني مجموعة من الفتيات الإسرائيليات ، فإننا لانستطيع رؤيتها كعملية إجرامية ، بل نعمد إلى تصويرها في مخيلتنا كعملية بطولية . اتهام الغرب بالانحلال الخلقي هو طريقتنا في الانتقام اللاشعوري من تفوقه العلمي والتكنولوجي . مآسينا المتكررة لانحجم أبدا إلى ربطها بالمؤامرات المتوالية التي تحاك ضد الإنسان العربي .. الأمثلة في هذا المجال كثيرة يصعب حصرها ، كلها تدل دلالة خاصة كيف أن انتماءنا الحضاري يتحكم في طريقة تفكيرنا . الانطلاق من هذه " الحقيقة " يسهل فهم الميكانيزمات التي تتحكم في الغربي ساعة حكمه على الإنسان العربي . أي أننا حينما ننظر إلى الأمور من خلال إطار يضع كل شيء في حدود النسبية ، فإنه سيسهل علينا فهم الآليات التي تتحكم في تصرفات الآخر . فإذا كان هو ينظر إلينا كأعداء ، فذلك لأننا نحن كذلك وعبر مرجعياتنا الثقافية قد استوعبناه كعدو حقيقي . فالعلاقة المتوترة هي متبادلة ، وهذا ما يسهل استمرارها واستغلالها من طرف منْ يستفيدون من إشعال فتيلها .

سادسا : إذا كان من أمر جسده التاريخ وبوضوح ، فهو كيف أن إيجاد عدو ما يساهم في خلق وحدة للصفوف قد لاتتم في حالة انعدامه . فكل الصراعات الاجتماعية التي قد تعصف بشعب ما يتم تجاوزها في حالة ما إذا جُندت الطاقات " للوقوف في وجه العدو المشترك " . خصوصا أن التاريخ المعاصر أكد بما لايدعو للشك المنافع الاقتصادية التي تنتعش بالنزاعات والحروب ، الكبيرة منها والصغيرة ، وكذا فائدتها في شغل الرأي العام الداخلي بقضايا جانبية .

هذا ما يفسر مثلا سرعة البحث عن عدو جديد مباشرة بعد سقوط جدار برلين . وبالطبع إذا كان من شعب تتوفر فيه كل الشروط لكي يصبح بديلا للمعسكر الشرقي ، فذلك هو الشعب العربي المسلم . وذلك ما حصل فعلا . حتى وإن كان العالم بأسره يعرف بأن هذا الشعب العربي في ظروفه الحالية يستحيل أن يكون عدوا لأي كان . ليس لأنه لايريد ، بل لأنه لايستطيع . فالعالم العربي أثبت خلال القرون الأخيرة عن ضعف ومذلة تجعله في حاجة ماسة إلى الشفقة بدل العدوان المستمر . ●

« كيف نتصدى لصورة تضفي علينا كل معالم الوحشية دون أن نفقد بمفعولها ثقتنا في أنفسنا ؟ »

صورة العرب ولعبة المصالح

حينما نتوخى وضع استراتيجية معينة ، فإنه يكون من الضروري تحليل المشكل الرئيسي عبر عملية تستهدف تفكيك مكوناته أولا ، ثم العمل على رصد خلفياته من خلال تحديد دوره الوظيفي . هذا الدور هو الذي نعتته أكثر من مرة بـ" المصلحة " . فتحديد تركيبة المصالح بين الأدوات المختلفة يسهل مهمة فهم الميكانيزمات التي تتحكم في تحرك أي قضية كيفما كان نوعها .

فنحن إذا أردنا فهم أسباب استمرارية تكريس الصورة

الرديئة عن الإنسان العربي ، فإنه سيكون من اللازم علينا أن نقف على نوعية العناصر التي تستفيد من هذا التكريس .

أكيد أن أول المستفدين ، هو الصحافة الغربية . فقضايانا السياسية والاجتماعية تشكل مادة دسمة لملإ الأعمدة . ولكن بالطبع هذه القضايا يجب أن تحمل طابعا خاصا حتى تصبح قابلة للنشر . فتطور اللعبة الديمقراطية في أي بلد عربي مثلا لايهمها بتاتا ، ولكن على العكس تهمها كل الأخبار المتعلقة بعمليات الإرهاب ، لأنها ترسخ صورة متواجدة ولقرون في مخيلة الإنسان الغربي عن قسوة ووحشية الإنسان العربي .

المستفيد الثاني : هو كل من يرى العرب والمسلمين عدوا له . وهذه مسألة يجب تحليلها بهدوء وبعيدا عن أي رد فعل عاطفي[35] .

المستفيد الثالث : بعض العرب القاطنين في دول غربية من الذين لاحظوا كيف تفتح لهم الأبواب في دولهم المضيفة كلما تنكروا لانتمائهم الأصلي .

المستفيد الرابع : بعض الأنظمة العربية التي تجد في

35 ـ وهو ما سأحاول القيام به حينما سأحلل الكيفية التي يتعامل بها الرأسمال اليهودي مع وسائل الإعلام الغربية .

هذه الصورة مبررا لبعض تصرفاتها المخلة بحقوق الإنسان . فالغرب تتوقف انتقاداته لأي دولة حينما يتم رفع شعار التصدي لـ " الإرهاب الإسلامي " .

المستفيد الخامس : المتطرفون في الدين والذين يجدون في استمرارية هذه الصورة حصانا آخر يركبونه للدعوة للحقد على الغرب كرد فعل على حيفه المستمر .

إذن ، وبشكل عام هذه هي العناصر الرئيسية التي تستفيد استفادة مباشرة من استمرار الصورة الرديئة عن الإنسان العربي ، حينما نحددها نكون أمام بداية الطريق لأن خلق استراتيجية سيعترض طريقه في البداية كل هؤلاء المستفدين ، لأنه يتنافى ومصلحتهم المباشرة . وهذه نقطة رئيسية يجب الوعي بها حتى يمكن التحرك في الاتجاه الصحيح .

إن استفادة هؤلاء تختلف من حيث استمراريتها في الزمن وكذا في طريقة العمل . فإذا كان بعضهم يتميز بذكاء في التخطيط ، فإن البعض الآخر يكتفي باستغلال وضع موجود يساهم هو فقط من الاستفادة منه . فكل البنيات المذكورة تعمل على تكريس لغة صدامية مهمتها توسيع الشقة بين الثقافتين ، وهذا ما يشكل عنصر تحالفها ، الذي يبدو في

بعض الأحيان غير طبيعي ، ولكن الفرق فيما بينها هو كون بعضها يعمل عن سابق إصرار (وسائل الإعلام الغربية وأعداء القضايا العربية) ، وبعضها الآخر ظانا بأنه يخدم القضايا العربية والإسلامية . في كلتا الحالتين النتيجة هي سلبية بالنسبة للإنسان العربي .

هذه الملاحظة الأولية هي بغاية وضع أسس تسمح بتوضيح مدى تعقيد المسألة ، فعلاقتنا مع الغرب لم تخرج أبدا عن لغة حرب مستمرة . إنها لغة عدائية غايتها استنفار الشعوب من أجل تبرير خطوات يذهب ضحيتها الأبرياء مثل العادة .

لنأخذ كمثال إحدى القصائد الأخيرة التي نشرها الشاعر الكبير نزار قباني على صفحات جريدة " الحياة " يدعو فيها العرب لمواجهة العدو بقوة وحزم ، مؤكدا على أنه يبقى دائما من الأفضل اتهامنا بالإرهاب على رجمنا بالذل . إن كلمات مثل هذه يتفوه بها شاعر له تأثير كبير هي ما يجب تجنبه ، لأنها تؤكد فقط انعدام تصور واضح ساعة تحليل قضايا مرتبطة بمصير أمة . إنها كلمات من " نار " تجسد رد فعل على تعنت السلطات الإسرائيلية وعلى استمرار الحيف الغربي . وهو كلام عادة ما يتم استقباله من طرف الشعب

بحفاوة كبيرة ويضفي على قائله كل صفات القومية والنضال . ولكن ما يجب قوله في هذا الصدد هو أن مثل هذا الكلام لايتعدى كونه خطابا ديماغوجيا لايفيد نهائيا في تحسين الوضع العربي . فهو مثل كل ردود الفعل يتميز بالتسرع . وإذا كان من عيب ميزنا عبر التاريخ ، فهو تسرعنا عوض تعاملنا مع مجريات الأحداث بكثير من التبصر . الأمر الذي دفعنا ثمنه غاليا وسنستمر في الدفع ما لم نلاحظ خطورة وعدم مسؤولية البعض ممن يدافعون عن ردود الفعل العنيفة ، حتى وإن كانت نيتهم حسنة .

إذن ، كيف يمكننا مواجهة رداءة صورتنا في وسائل الإعلام الغربية التي وصمتنا بالإرهاب دون السقوط في حبال المهانة ؟ كيف نتصدى لصورة تضفي علينا كل معالم الوحشية دون أن نفقد بمفعولها ثقتنا في أنفسنا ؟

بداية الطريق وضعناها بتحديد البنيات المستفيدة ، وذلك لمعرفة نوعية العراقيل التي ستعترض سبيل من يريد العمل في الاتجاه الآخر: في اتجاه البحث عن النقط المشتركة الكفيلة باجتثاث جذور حقد تاريخي أسال ما يكفي من الدماء .

لما عمدت إلى توضيح نوعية البنيات المستفيدة ، فذلك

للوقوف على حقيقة ملموسة : كل المستفيدين يستغلون خلفية تاريخية وليس شيئا خلقوه هم ، بمعنى أنهم يكرسون أمرا موجودا ، أمرا سكن مخيلة الإنسان الغربي عبر الحقب المتوالية . وهذا ما يجب أن يكون مصب أي تخطيط هادف إلى العمل على تغيير الصورة .

هناك واقع في الماضي القريب يشبه واقعنا الحالي : اليهود عانوا الأمرين من العنصرية الأوربية بلغت أوجها خلال النازية التي ألقت بملايين الأبرياء في مذبحة الهولوكوست . هم وبغاية الدفاع عن أنفسهم التجأوا لتخطيط محكم تكفل لهم بزجر كل من تسول له نفسه مسهم ولو من بعيد . طريقة العمل تؤكد على انسجام في التصور يجد أعمدته في لغة واضحة المعالم ترتكز على فهم العقلية الغربية وتشربها بغاية خدمة مصالح اليهود المشتركة . وضع اليد على وسائل الإعلام ماهو سوى لبنة من اللبنات التي ارتكزت عليها الهيمنة في طريقها نحو " إجبار " الغرب على احترامهم . ●

«أفضل طريقة للتعامل مع العقل الغربي هو الانطلاق دائما من التذكير بضحايا الهولوكوست .. »

الدرس اليهودي

في أوائل شهر غشت 1996 نطقت إحدى المحاكم الإيطالية بحكمها على مجرم الحرب إيريك بريبكي المتهم في قضية كان ضحيتها ما يناهز 350 إيطاليا ضمنهم قلة قليلة ذات أصول عبرية . لحظات بعد النطق بالحكم بدأت وسائل الإعلام في بث صور عائلات الضحايا وهي تشتم القاضي وهيئة المحكمة ، لأنها أخذت بعين الاعتبار كون الضابط الألماني طبق أوامر عليا . مسألة وإن كانت تدان ، فإنها تبقى مفهومة في نهاية الأمر ، خصوصا

لما يتعلق الأمر بحرب شرسة وبنظام نازي كذلك الذي عانت منه الإنسانية خلال الحرب العالمية الثانية .

وسائل الإعلام لما تعرضت للموضوع اكتفت بالحديث عن الضحايا اليهود بالشكل الذي أصبحت معه القضية ذات بعد خاص لايمكن بعدها إلا الاعتراف بقوة اللوبي اليهودي الذي استطاع أن ينسي الإيطاليين في ضحاياهم ويجعلهم يقيمون الأرض ولايقعدونها على القلة القليلة ذات الأصول العبرية . لأن القضية حملت معها شيئا أساسيا ذو دلالة خاصة ، وهو أن الجميع لما تحدث عن بريبكي كان يصر على أن ضحاياه هم يهود وينسى أو يتناسى أن أغلب ضحاياه هم إيطاليون .

لنقرأ تأملات الفيلسوف لوتشيو كوليتي مباشرة بعد الإعلان عن استمرار بريبكي محجوزا من طرف السلطات بقرار من وزير العدل الإيطالي بطريقة شكلت سابقة لم يعرفها القضاء في تاريخه . يقول : " إنني كنت دائما من المتعاطفين مع إسرائيل ، بل ملامحي خلال فترة الشباب كانت تجعل الكثيرين يعتقدون بأنني يهودي .. فرغم تنديدي الشديد بكل ماعاناه اليهود خلال الهولوكوست ، فإنه يجب الاعتراف بأن مفهوم " جرائم ضد البشرية " هو من نتائج

التطرف العبري الذي يعتبر اليهود شعبا مختارا يربطه عهد مقدس مع الله ، الأمر الذي يدفعهم إلى اعتبار مذابح الهولوكوست ظاهرة فريدة في تاريخ الإنسانية " . وبكلمات واضحة يستمر الفيلسوف الإيطالي في شرح وجهة نظره : " دون أن أنتقص من فظاعة الهولوكوست ، فإنه يجب التأكيد على أن التاريخ عرف هولوكوستات كثيرة : مذابح الأرمن على أيدي الأتراك ، التنقية العرقية في البوسنة ، تصفية ثلث سكان الكامبودج على يد بول بوت .. إلخ ، مذابح وإن كانت لاتتعلق مباشرة بشعب الله المختار ، فإن لها الحق في أن تعتبر في نفس مستوى الهولوكوست "[36] .

فكوليتي من خلال هذه الكلمات يضع يده على مصدر الجبروت اليهودي . فإيمانهم بالعهد المقدس الذي يربطهم بالرب هو الذي يعطيهم هذا الزخم من القوة في فرض آرائهم ، خصوصا بعد تأكدهم من أن أفضل طريقة للتعامل مع العقل الغربي هو الانطلاق دائما من التذكير بضحايا الهولوكوست لابتزازه ساعة تناول القضية الرئيسية بالنسبة

---

36 - Lucio Colletti : " *Rifiuto questa insurrezione fanatica ; che dire di Hiroshima e Nagasaki* " . Corriere della sera (5-8-1996) , p 2 .

لهم الآن : إسرائيل .

فاليهود استوعبوا أن أكبر حليف لهم من أجل بنا، وضمان وجود الدولة العبرية ليس هو الولايات المتحدة ولا الغرب ، وإنما هو استقراؤهم الجيد للتاريخ . لنقل بأن حليفهم الرئيسي هو التاريخ . وهذه مادة نحن نجهلها نهائيا[37] .

الغاية من الوقوف عند هذه النقطة هو ليس لإدانة سيطرة اليهود على وسائل الإعلام عالميا ، بل هو فقط محاولة لفهم كيفية الوصول إلى هذا التأثير بحيث يمكن للعرب في يوم ما تبليغ صورة مغايرة عن تلك التي أضحت مرادفة للإنسان العربي التي وقفنا عند أسسها في الفصول السابقة .

فبقدر ما يمكن اعتبار القرار القاضي ، الذي أخذ بعين

---

37 ـ خلال حرب 1973 قام موشي دايان بعملية عسكرية هي نسخة مطابقة للأصل لعملية سابقة قامت بها القوات العربية خلال حرب 1967 . للصحفيين الذين سألوه عن سبب هذه المجازفة ، أجابهم الوزير الإسرائيلي : « كنت أعرف بأن العرب لن يتذكروا العملية السابقة لأنهم لايقرؤون التاريخ » .

فقوة اليهود صادرة من حسن استقراء التاريخ الذي يؤكد على نسبية كل المبادئ وعلى مدى استمرارية لعبة المصالح . فهمهم لقوانين اللعبة أعطاهم فرصة استغلال الأدوات المتوفرة لديهم واستعمالها بالشكل الصحيح للدفاع عن أنفسهم

الاعتبار ظروف التخفيف في حق مجرم الحرب إريك بريبكي ، قرارا خاطئا ، بقدر مايجب التساؤل (خصوصا بيننا نحن العرب) من أين يستمد اليهود قوتهم في فرض وجهات نظرهم على العالم بهذا الشكل . حقا ، فقد كتب الشيء الكثير عن مدى سيطرة الرأسمال الصهيوني على وسائل الإعلام الصانعة للرأي العام ، ولكن ذلك لايمنع من البحث عن أسباب أخرى تجعل الإيطاليين مثلا الذين استقدموا المجرم النازي لمحاكمته ، لأنه أعدم عددا ضخما من الإيطاليين لايشكل اليهود منهم إلا نسبة ضئيلة جدا . الآن وبعد أن نطق الحكم ، فكل ردود الفعل تتحدث فقط عن الضحايا اليهود . شيء يدعو للتفكير حقا !!!

قوة رد الفعل في العالم كلما تعلق الأمر باليهود أصبح أمرا معروفا . القمع الفكري الممارس مع كل من تسول له نفسه المس بكرامة اليهود لم يعد مسألة بسيطة يمكن حصر ضحاياها في المساكين العرب الذين من شدة القهر لم يبق لهم إلا الشكوى . بل إن الأمر بدأ يطال كل سكان المعمور .

مارلون براندو نصبت كل الأسهم اتجاهه فقط ، لأنه تجرأ وتحدث عن الصورة الرديئة التي يقدمها المنتجون اليهود عن باقي سكان العالم . تذكروا صورة الهنود الحمر أو الصينيين

(لاداعي للحديث عن العرب فالمسألة معروفة) . الراهب بيير علقوا عضويته في جمعية S.O.S الذي كان من مؤسسيها . لأنه لم يندد بما كتبه صديقه الفيلسوف روجي غارودي . السفير الإيطالي السابق بالولايات المتحدة سيرجيو رومانو حملت عليه أقلام كثيرة ، لأنه تجرأ وانتقد بلطف شديد تطرف بعض الصهاينة في كتابه « رسالة لصديق عبري » . هذا القليل القليل من الأمثلة التي يمكن إيرادها عمن تسلط عليهم وسائل الإعلام سوطها زاجرة إياهم ومنبهة من بقي منهم ممن يحاول انتقاد تصرفات بعض اليهود .●

« هذه القوة في دفاع اليهود عن أنفسهم يجب أن تنيرنا لكي نبحث عن أنجح الطرق في صد الهجومات التي تطالنا . »

السيطرة على الإعلام

لنحلل طريقة تصرف وسائل الإعلام من خلال الوقوف عند نموذج روجي غارودي .

فالفيلسوف الفرنسي نشر عام 1982 صحبة مجموعة من المثقفين إعلانا مدفوع الثمن في صحيفة " لوموند " يندد بالغزو الإسرائيلي للبنان . من هناك بدأت مشاكل المفكر الفرنسي التي عرفت أقسى مراحلها بعد كتابه حول الأساطير الإسرائيلية ، الذي من شدة الخنق الممارس عليه من طرف وسائل الإعلام لم يتمكن من طبعه إلا تحت نفقته

ومن خلال دار صغيرة مقيدة لاتوزع كتبها إلا على المشتركين فيها . وبالرغم من " هذا النشر المحدود الضيق النطاق ، فقد بدأت الحرب على الكاتب والكتاب ، بصوت أعنف من كل ما تعرض له من قبل (لأنه) تجاوز بالفعل كل حد حين تجرأ لا على انتقاد الأساطير السياسية الإسرائيلية وحدها ، بل وعلى أن يشير بأصبع الاتهام إلى أمريكا والغرب في مجمله باعتباره المؤسس الحقيقي للأسطورة التي أصبحت كابوسا اسمه : إسرائيل "[38] .

فغارودي لم يعمد في هذا الكتاب إلا إلى توضيح الأساطير التي بنيت عليها دولة إسرائيل والتي تجد أسسها الإيديولوجية في مصادر اليهود اللاهوتية ، مخفية في واقع الأمر ذلك الإحساس العميق لدى الشعب العبري بسمود على اعتبار كونه الشعب الذي اختاره الله وحباه دون شعوب الأرض كلها بوعد لاينفصم . ويضرب الكاتب الفرنسي مثلا لهذا الاستعلاء المتولد عن ذلك الإيمان الأعمى بتعاليم العهد القديم بجملة ترد في كتاب « التلمود » وضعها الحاخام كوهين في الطبعة الصادرة في باريس سنة 1968 : " يمكن تقسيم سكان الأرض ما بين إسرائيل وبقية الشعوب

38 . بهاء طاهر : " محنة غارودي أم محنة الإعلام ؟ " ، الهلال ، (سبتمبر 1996) ، ص . 12 .

مجتمعة ، فإسرائيل هي الشعب المختار وتلك عقيدة أساسية[39].

ويوضح غارودي كيف يمكن لهذا الاستعلاء العنصري أن يفضي بسهولة إلى الجريمة ، فينقل من مذكرات مناحيم بيغين ما جاء عن ارتكابه لمذبحة دير ياسين مع الأرغون لدفع العرب إلى الخروج من الأرض الموعودة وتخليصها للشعب المختار . هذه الآراء لم يكن بإمكان اللوبي الصهيوني المسيطر على الإعلام في فرنسا وفي باقي الدول الغربية هضمها ولا السماح بانتشارها ، لأن ذلك قد يعني بداية إسقاط كل المقولات التي بنيت على أساسها الدولة العبرية ، وهذا ما لايمكن السكوت عليه من طرف الوسائل الصانعة للرأي العام التي تعرف تمام المعرفة أن حرية التعبير حينما يتم وضع أهم " حقيقة " عرفتها الإنسانية خلال هذا القرن موضع التشكيك . " حقيقة " سمو العنصر العبري الذي لايمكن بأي حال من الأحوال تجاوزها .

وإذا كان الكاتب الفرنسي قد عرف معنى اضطهاد كل من تسول له نفسه فضح الممارسات الصهيونية ، فالظاهر أنه كان يعي بقوة هذه المتابعة قبل أن ينشر كتابه خصوصا

---

39 ـ نفسه ، ص 13

بعد أن رفضت إصداره كل الدور الكبرى في فرنسا . لذا ، فإن التوقف عند رد الفعل الصهيوني حيال ما كتبه روجي غارودي يبقى في نهاية الأمر طبيعيا باعتبار مجازفته بمعالجة الموضوع رغم تقديره لرد الفعل . ولكن ما لم يكن ممكنا انتظاره هو الهجمة الشرسة التي طالت الراهب بيير فقط ، لأنه لم يرد التنكر لصديقه الفيلسوف .

فإلى حين تعليقه الإيجابي على كتاب روجي غارودي ، كان الراهب بيير يحظى بتقدير كل فئات المجتمع الفرنسي ، وهو ما جعل منه الشخصية الأكثر شعبية في فرنسا . ولكن ما أن صدرت منه كلمات مفادها التقدير لغزارة علم غارودي ودقته العلمية حتى انهالت عليه الانتقادات من كل ناحية : إدانة قاسية من طرف مجمع الأساقفة الفرنسي ، شجب من طرف أقرب أصدقائه ومعاونيه ، طرد من جمعية إس أو إيس (SOS) المناهضة للعنصرية ، التي كان هو أحد مؤسسيها ، ناهيك عن الاتهامات والشتم الذي كيل له ، وبعبارات شديدة من طرف المنظمات العبرية المتواجدة في فرنسا . كل هذا ، لأنه " تجرأ " وعبر عن رأيه الشخصي في استجواب خص به صحيفة " Libération " حول كتاب روجي غارودي ودعوته فتح أبواب الحوار لمناقشة ما ورد

فيه . قسوة التعاليق على كلمات الراهب لم تخف حتى بعد تراجعه عن كل ماقاله في تصريحاته السابقة[40]، السبب وببساطة هو أنه لم يرد التنكر لصديقه الفيلسوف ، وهذه جريمة لم يغفرها له اللوبي الصهيوني .

هذه القضية التي يمكن أن تكون نموذجا لفهم الميكانيزمات التي يعتمد عليها صناع الرأي تلخص وبفعالية كبيرة مدى قوة وذكاء الأيادي الخفية التي تعمل لصالح العنصر العبري والتي تتحرك عبر منطلقات يلخصها بهاء طاهر[41] على الشكل التالي :

أ ـ عدم التطرق مطلقا إلى المضمون الفعلي للكتاب أو مناقشة منهجه أو القضايا التي يطرحها .

ب ـ حصر نقد الكتاب في جزئية واحدة هي أن الكاتب يشكك في الرقم الرسمي لضحايا النازية من اليهود ، وأنه يطعن في أحكام واستنتاجات محكمة نورنبرغ (غير القابلة للطعن) .

ج ـ اختيار اسم واحد من بين عشرات الأسماء التي اقتبسها المؤلف ، هو اسم المؤرخ البريطاني دافيد إيرفينغ ،

---

40 ـ تراجعه تم بعد 24 ساعة

41 ـ مجلة غارودي ... ص 16 ـ 17 .

والتركيز على هذا المؤرخ (الذي لم يرد ذكره في الكتاب في اقتباسين لا أهمية لهما) هو مؤرخ من اليمين المتطرف وأنه قريب من النازيين الجدد ومعاد للسامية وأنه مرجع أساسي للكاتب .

د ـ تلويث اسم غارودي وسمعته ككاتب ، بإظهار أنه شخص متقلب في أفكاره ؛ إذ تحول من الشيوعية إلى المسيحية إلى الإسلام .

هـ ـ التلويح باستمرار بسيف العدالة وبأن غارودي قد خرج على القانون ، والإشارة إلى أن هناك قضايا مرفوعة ضده استنادا إلى قانون جديد صدر منذ سنوات قليلة يحرم نقد أحكام محكمة نورنبرغ .

و ـ فرض تعتيم على الكتاب والقضية خارج فرنسا .

هذه هي الكيفية التي تعاملت بها كل وسائل الإعلام التي تناولت الكتاب والتي عمدت أساسا إلى قمع فكري حقيقي لايحدث حتى مع من يستهترون بأكثر المواضيع قداسة في العالم المسيحي . فالسخرية بالسيد المسيح أو الاستهزاء ببعض المقدسات الدينية تجد دائما من يقف إلى جانبها بحجة الدفاع عن حرية التعبير ، ولكن حينما يتعلق الأمر بالعنصر العبري آنذاك المسألة تحمل أبعادا

خطيرة الغاية منها أساسا هي زجر كل من قد تسول له نفسه مناقشة " الحقائق " التي دفع عنها العرب ثمنا غاليا .

لا أريد من هذا الكلام انتقاد هذه السيطرة الصهيونية المطلقة على وسائل الإعلام الغربية ، لأن المنطق يفرض الاعتراف بأن اليهود وجدوا في هذا الأسلوب الوسيلة المثلى للدفاع عن أنفسهم من تلك الصورة السيئة التي وضعها عنهم الغرب المسيحي في فترات تاريخية سابقة . هذه السيطرة هي التي تتجسد عبر تذكير مستمر بالنكبات التي لحقت باليهود عبر تاريخهم الطويل . فمن المستحيل مرور فترة من الزمن دون الحديث عن المذابح التي لحقت بهم ، وكذا على تميز ذكائهم حيث تزخر الصحف بأخبار الاختراعات الإسرائيلية في مجالات الطب والفزياء وغيرها من مجالات العلم الحديث ، وهو ما يجعل إسرائيل دولة معدودة على الدول المتطورة تكنولوجيا . فهذا المجهود لإضفاء صورة التفوق على العنصر العبري هو ما يفسر اضطهاد كل من يحاول رسم صورة أخرى ، غير تلك التي عملت الدوائر اليهودية على صنعها وبإتقان وتأني عبر خطة مدروسة وذكية بعيدة كل البعد عن أي ارتجال محتمل .

وهكذا ، فإن أي استراتيجية هادفة إلى تغيير الإنسان

العربي في المتخيل الغربي يجب أن تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار : الدرس اليهودي يمكنه أن يكون مهما جدا بالنسبة لنا . أي أنه عوض الدخول في متاهات " فضح الممارسات الصهيونية " والتي لم نجن منها أي شيء ، فإنه آن الوقت لتحليل الطرق المستعملة من طرف اليهود لاستئصال تلك الصورة الرديئة التي سكنت ولقرون مخيلة الإنسان الغربي ، والتي لايمكن إنكار أنهم دفعوا ثمنا غاليا .

وهكذا يمكننا ملاحظة بأن العنصر اليهودي ينطلق في تعامله مع وسائل الإعلام الغربية من خلال مفهومين :

أ ـ الزجر : حيث تقوم الصحافة من خلال وضع صفة القداسة على بعض القضايا المرتبطة باليهود بالهجوم الشديد والممنهج على كل من يتجرأ على مس ، ولو من بعيد ، أي مسألة مرتبطة بشعب الله المختار .

ب ـ التذكير : ويتجلى في اللعب على ورقة الهولوكوست وكل حلقات التاريخ (وهي كثيرة) التي شهدت اليهود كضحية .

تكريس هذين المفهومين على المستوى العملي يحتاج إلى تخطيط محكم ومستمر ، الأمر الذي تسنى لهم من خلال فهم العقلية الغربية والتكلم بمنطقها . بالطبع ساهم في

تسهيل هذه المهمة كون العنصري اليهودي تعايش ، عبر حقب طويلة من التاريخ ، مع مختلف الثقافات ، واستطاع ، بالتالي تشربها واستيعابها مع الحفاظ على هويته المميزة وولائه الأعمى لإسرائيل . كل هذه عوامل ساهمت في فتح الأبواب في وجه سيطرة حقيقية تنهل من التاريخ مرتكزات قوتها واستمرارها .

لذا ، فمن يريد التعرض لقضايا مرتبطة بالعنصر اليهودي ، فإن أبواب الاجتهاد التي تركت له هي ضيقة جدا ، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال : طريقة تعامل " الكوريبري دي لاسيرا " و" لا ستامبا " سيرى كيف تتعامل الصحيفتان مع الحدث اليهودي مع الخبر العربي ، وما هي الخلفيات التي تتحكم في نوعية الخبر الذي يتم نشره . حينما نمر إلى نفس الصحيفتين وكيفية تعاملهما مع الخبر القادم من إسرائيل آنذاك يتجلى بشكل أكثر حدة الفرق بين طريقة التناول .

وسأكتفي بمثال أراه الأنسب لتجسيد ذلك . ففي حديث مع الكاتب جورج ستاينر (George Steiner) مباشرة بعد اغتيال رابين نشرته صحيفة " الكوريبري ديلاسيرا " يوم 8 / 11 / 1995 (ص 70) نقرأ جملا من هذا النوع :

ـ " إسرائيل لايمكنها أن تصبح دولة عادية لأن ذلك سيشكل فشلا للإنسانية " (العنوان)

ـ كون إسرائيل دولة غير عادية يتجسد في حضور " زعماء العالم لجنازة يوم الإثنين في بقعة أرض شعب صغير الذي يعتبر استمراره في العيش سرا غامضا ، إنه سر يهم مستقبل الثقافة الغربية كذلك " .

ـ جوابا على سؤال ماهي العلاقة بين اغتيال رابين ومصير الثقافة الغربية ، يجيب ستاينر : " إسرائل تسمى بـ " شعب الكتاب " ، هذا يعني بأن الوطن الحقيقي لهذا الشعب هو نص التوراة وتأويلاتها غير المحدودة . فمنفى هذا الشعب لم يكن منفى حقيقيا ، لأنه استمر في العيش عبر اللغة . ليس هذا فقط ، بل إن الحداثة نفسها نشأت في أحضان الثقافة العبرية[42] من خلال ماركس وفرويد . ثم في زمننا هذا وسائل الإعلام ،خصوصا في الولايات المتحدة ، منتعشة تحت أيدي اليهود . ما أريد قوله هو أن هذا الشعب وجد دائما في الكتابة وفي نشر الفكر مهمته الرئيسية ، بل حياته نفسها " .

ـ " إن العبري حتى يومنا هذا كان رسولا جيدا للروح ،

42 ـ الكاتب يستعمل كلمة tradizione بمعنى تقليد أو تقاليد شرعية حسب المفاهيم اللاهوتية .

شخصا موهوبا في نشر وتبليغ القيم " .

- لو أراد شخص أن يتكلم عن العرب بربع ما قاله ستاينر عن اليهود في هذا الاستجواب لكان عليه ، وهذا أقل ما سيطلب منه ، أن يدفع ثمنا ماديا لذلك والقيام بنشره في صفحة للإعلانات (إذا تم نشره) . ولكن لما كان الأمر يتعلق بخطاب مرتبط باليهود ، فإنه لم يجد أي معارضة ، بل هذه هي الطريق الوحيدة التي تركها اليهود عبر سيطرتهم على الوسائل الإعلامية . التمجيد بكل ما هو عبري ، وما عدا ذلك ، فهو معاداة للسامية .

إن هذه القوة في دفاع اليهود عن أنفسهم يجب أن تنيرنا لكي نبحث عن أنجع الطرق في صد الهجومات التي تطالنا . فنحن انطلاقا من التجربة اليهودية يمكننا أن نتلمس سبيلنا في اتجاه بناء صورة جديدة . وهذا ما يمكننا طرقه من خلال تحليل أوجه الشبه والتباين بين الحالتين .

أول فرق يتجلى هو ذلك المقترن بالأرض . فالعرب حتى لما طردوا من أراضيهم في فترات تاريخية معينة (الأندلس مثلا) وجدوا دائما من يستقبلهم ويعتبرهم ذوي حقوق . العكس حصل دائما مع اليهود . عدم توفرهم على أرض كان يجعلهم يحسون دوما بأنهم غرباء ، وبأن تواجدهم في مكان

ما ، هو مرحلي ومؤقت إلى غاية إنشاء دولة إسرائيل ، موطن كل اليهود . عيشهم كأقلية في دول عاملتهم معاملة رديئة جعلهم يكتسبون آليات دفاعية تتخذ أساسا لها ذلك الشعور الديني الذي " يربطهم بعقد مع الرب لاينفصم " والذي وفر لهم إحساسا بالتفوق ساعدهم على التحمل .

فرق ثاني ، وهو مرتبط بالوضع الذي عرضته في الأسطر السابقة ، يتعلق بآليات الدفاع التي علمتهم كيف أن لعب دور الضحية يعطي نتائجه بالنسبة للأهداف التي يبتغون تحقيقها . بالعكس نحن العرب ، رغم كل ما نعانيه ، فإننا نعطي الانطباع بعدوانية تتولد عن كبرياء أجوف يدخلنا في متاهات يستفيد منها أعداؤنا .

فرق ثالث ، تم تكريسه بعد نشأة دولة إسرائيل على الخصوص ، وهو إصرار اليهود على إعطاء الانطباع بانتمائهم للغرب ، سواء على المستوى السياسي ، الثقافي أو الحضاري . وهو أمر ساهم في استثارة الرأي العام الغربي لصالحهم باعتبارهم استمرارية له ولمصالحه . على العكس بالنسبة للعرب . فكل التحركات الثقافية تتمحور حول تأكيد الاختلاف والتميز انطلاقا من البحث عن

الهوية الضائعة .

هذه الفروق الثلاثة هي ذات أهمية ، خاصة في تيسير الطريق في وجه الهيمنة الإسرائيلية على الرأي العام الغربي . ونحن العرب يجب أن ننطلق أساسا من وعي حقيقي بخلفيات هذه الفروق حتى يتسنى لنا الانطلاق في التخطيط نحو العمل على خلق صورة جديدة في عالم يصغر وتقصر مسافاته كل يوم عبر وسائل الإعلام والتكنولوجيا ، التي ستجرنا جرا إلى الخطو في اتجاه مستقبل علينا نحن فقط أن نختار الدور الذي نريد لعبه فيه . فإما الاستمرار في اللعب على هامش التاريخ كما نفعل حاليا أو الدخول في معمعة الحاضر ، وهذا سيعني الانطلاق أولا ، في اتجاه فهم الأسباب الموضوعية التي تقف وراء هذا التخلف الذي يدفع أغلبنا ثمنه . الواقع العربي يحتاج إلى تحليل واعي حتى يتسنى التغيير . والتغيير يحتاج إلى آليات مركبة تمس ما هو اقتصادي ، سياسي واجتماعي . وهذا يستلزم قراءة أوسع من تلك التي يمكن أن يحصرها هذا الكتاب في جوانبه . لذا ، فإن الاكتفاء بما هو إعلامي كان بهدف تسليط الضوء على مشكلة مهمة هي وليدة التخلف وليست سببه . الوقوف عند خلفية الصورة الموجودة عن العربي في

مخيلة الغربي كان في نهاية الأمر محاولة لتنبه من بيدهم الأمر على التفكير بجدية في التخطيط من أجل عمل مركز وناجع في اتجاه المشاكل الحقيقية لأوطانهم ، دون إغفال أهمية التحرك نحو تحسين الصورة في زمن العولمة الذي نحياه . القرية الكونية تحتم علينا حرق المسافات ، تلزمنا بالعمل على جبهات مختلفة وبذكاء ، وإلا ، فإن مصير الثقافة العربية والإسلامية سيكون هو الزوال . ●

« آن الوقت لكي نحرق سفن التخلف ونتحرك بثقة نحو المستقبل . »



آفة الإعلام

في رواية « Il contesto » لليوناردو شاشا حوار معبر بين مفتش الشرطة وميكانيكي كان قد حكم عليه بخمسة وعشرين سنة تبين بعد خمس سنوات منها بأنه بريء مما ألصق به .

" ـ (...) ولكنك بريء .

ـ هل تعتقد ذلك حقا ؟

ـ إنني هنا لأني أعتقد ذلك .

ـ نعم كنت بريئا .." ولكن ذلك لايعني أي شيء حينما

يسقط المرء في حبال ألعوبة القدر . المسألة يمكن تشبيهها بشخص يريد قطع الطريق ، فتصدمه سيارة . ولكن صدمته سيارة . إذن لا معنى لأن تقول بأني بريء[43] .

لنقل بأن صورة الإنسان العربي تتجسد في الأفق مثل مصير هذا الميكانيكي . الصدف جعلت منه مادة مهمة لكي يتم من خلاله صنع صورة معينة رغم عدم توافقها مع الواقع .

فبالنسبة للثقافة الغربية التي أصبحت مرادفا لمفهوم الحضارة العالمية الذي يشكل النموذج الذي يجب أن يقتدى به ، فإن العربي على مدى تاريخ حافل بالدماء (على الأقل اعتمادا على ما يتم تلقينه بالمدارس) يشكل عنصر اختلاف خطير ، لأن ثراءه الحضاري والإيديولوجي (الذي يجد في الدين إحدى أهم أعمدته) يمكن أن يكون بديلا إذا ما تسنت الظروف المساعدة . ومن هنا ينطلق الرفض الذي يلمسه المرء عبر وسائل الإعلام الغربية . فرفض الآخر حينما يصعب فهمه ، والذي يمكن اعتباره أمرا طبيعيا على المستوى الإنساني ، ينقلب إلى حقد حقيقي حينما تتجسد

---

43 - Leonardo Sciascia : " Il contesto " . Torino : Einaudi . 1971 . p . 25

في هذا الآخر عناصر بديلة قد تعني (ولو خطأ مثلما هو الحال هنا) اندثارا للقناعات الشخصية .

سوء الصدف كذلك تجعل من العربي حاليا يعيش فترة من أحلك فتراته التاريخية . وهذا الأمر يجعله عرضة للإهانات المتكررة لأسباب متعددة ، بعضها خارجي ومعظمها مرتبط بشروط داخلية لم تستطع سنوات الاستقلال (الشكلي) من وضع حد لها . فسنوات الاستعمار ، الصراع العربي الإسرائيلي الذي " توج " بانتكاسات عسكرية متكررة ، الأنظمة العربية التي لاتريد الخروج عن الطرق التقليدية في تسيير دفة الحكم ، انعدام أدنى درجات الاحترام للإنسان في الدول العربية ، ردود الفعل الشعبية المتميزة بتشنجها وتطرفها .. إلخ ، كلها عوامل تعطي انطباعا أكيدا للإنسان الغربي بضعف أمة تقضي يومها في التغني بأمجاد الماضي ، وفي تطوير أدوات رفض بليد للتقدم الحضاري أمام عدم تمكنها من اللحاق بالركب .

هذه الصورة ، التي تجد جذورها في وضع اقتصاد مزري ، تأتي على شكل عمليات إرهابية متكررة يقرن اسم منفذيها بالدين الإسلامي . وهذا يطعم مقولات العاملين ليل نهار لإضفاء صورة الوحشية على الإنسان العربي . فبطريقة

غير مفهومة (أو مفهومة لمن يريد أن يفهم) تكون أسا. تبادل مصالح بين الغرب والمتطرفين . بمعنى أن " التطرف الديني " في الوقت الراهن هو أكبر حليف للغرب بإعطائه الأدوات الكفيلة لتبرير تدخله السافر في قضايا الأمة العربية ، وكذا في عمله على إيقاف أي إمكانية تغيير حقيقية . والغرب (السياسي والاقتصادي طبعا) من جانبه يعمل كل ما في جهده لدفع العرب إلى ردود الفعل العنيفة حتى يتسنى له صبغهم بالصورة الرديئة التي حاولت تناولها في هذه الدراسة . ومن هنا ، فإن العوامل الظرفية لها دورها في العمل على خلق صورة تعميمية مبسطة تقرن الإنسان العربي بصورة تحمل كل المعاني السلبية التي يراد عبرها تأكيد التفوق الحضاري الغربي .

هناك نقطة أساسية حاولت التأكيد عليها في هذه الدراسة ، وهي التي يمكن إجمالها في ضرورة الوعي بكل الحيثيات التي تحيط بالصورة الرديئة التي يتم صبغ العرب والمسلمين بها حتى يتسنى لنا الانطلاق بعدها في الاتجاه الصحيح الذي يمكن أن يمر عبر آليات خلق الرأي العام ، مكوناته والوسائط التي تؤثر فيه . إنه فقط من خلال استيعاب هاته الآليات يمكننا السير إلى الأمام .

فكما نلاحظ من خلال التعامل اليومي ، فإن الرأي العام الغربي تتحكم فيه شروط معينة تصنع مواقفه حيال القضايا التي تقدم له مع كل نشرة أخبار . كلها تسير في نهج محدد يتمحور حول نوعية المصالح التي تدافع عنها كل أداة إعلامية على حدة . وهذا يعني تحكما حقيقيا من طرف الرأسمال الذي يتوخى من خلال استثماره في الحقل الإعلامي تحقيق أرباح مادية تبعا لقوانين السوق . فالخبر هو مادة يتم بيعها ، وبالتالي يجب أن تكتسي طابعا معينا حتى تجد لها مكانا لدى المتتبع . وتسويقها بالشكل الصحيح يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الخلفيات الفكرية للمتلقي حتى لا يتم " إحراجه " بما لا يتوافق ومعتقداته .

هذه هي آفة الإعلام بشكل عام ، بدون الدخول في موضوع صورة العربي كما يتم تجسيدها في هاته الوسائل . فهناك قواعد أصبح على الإعلام اتباعها وإلا كانت النتائج وخيمة تتجسد عبر هروب المشاهد من رؤية ، استماع أو قراءة ما تنتجه الوسائل المذكورة . وهو ما يعني هروب المعلنين الذين يضمنون من خلال الأموال التي يدفعونها ، استمراريتها .

الآفة الأخرى التي تولدت عن هذه الطريقة في التعامل

مع وسائل الإعلام هو تمكنها من صنع الإنسان اللامبالي : بمعنى أن كثرة الأحداث العنيفة المتابعة خلقت المشاهد الذي يتعامل مع أكبر الكوارث بدون أن تستثير فيه أدنى الأحاسيس الإنسانية اللهم إذا استثنينا ذلك الفضول المنحط الذي " يستمتع " برؤية الدم وهو جالس على مائدة الطعام . فالشاشة وضعت بينه وبين الواقع حاجزا شفافا يجعله يرى الأشياء كفرجة وليس كحدث واقع بالفعل . والتلفزيون (بجانب الوسائل الأخرى الأقل فعالية) استطاع أن يحقق " هذا الإنجاز " خصوصا في نشرات الأخبار التي تقدم ، عبر ابتسامة مشرقة على وجه مذيعة حسناء ، أخبارا تتراوح بين سقوط طائرة ، إلى زلزال ، إلى نتائج بطولة كرة القدم ، إلى آخر صرخات الموضة ، وبنفس الطريقة زارعا الإحساس بأن كل شيء هو مجرد فرجة ، الغاية منها ، وهي التي لايتم الإعلان عنها أبدا ، إجلاس أكبر عدد ممكن من المتفرجين أمام الشاشة حتى يتسنى تقديمهم قربانا لعملية الاستهلاك .

هذا الهدف يدعو كل وسائل الإعلام إلى البحث عن أنجع السبل للوصول إلى أكبر قدر من المتلقين . وبالطبع لما كانت الغاية هي الكم وليس الكيف ، فالطريقة المثلى

لتحقيق هذا المبتغى هو التبسيط ، والتبسيط الشديد . الأمر الذي يعني الاقتراب إلى كل المواضيع بكثير من السطحية ومن التعميم . وهذا ما ندفع ثمنه نحن العرب على الخصوص . عدم التعمق في خلفيات الواقع العربي ، بالإضافة إلي سوء نية من يعملون على تصوير الإنسان العربي بصورة رديئة يجدان لهما أرضا خصبة في عالم محكوم بقواعد معينة شاءت " الصدف " أن نكون أهم ضحاياها .

أمر أخير لابد من فهمه وهو أنه لاتوجد خاتم سليمان لكي نستعملها نحن العرب من أجل تغيير صورتنا لدى الغرب . لا بديل لنا غير التحرك بمنهاج علمي وبروح عملية نحو بناء واقع جديد سيكون أكبر معين نحو تغيير الصورة الخارجية . لقد آن الوقت لكي نحرق سفن التخلف ونتحرك بثقة نحو المستقبل . فثراؤنا الحضاري والإنساني يحتم علينا تعاملا معينا لا محيد عنه . يكفي أن نتعلم من أخطائنا المتراكمة لكي نعرف وجهتنا . يكفي أن نلم الجهود المبعثرة في كل مكان . يكفي أن تكون لنا الشجاعة الكافية للنظر لواقعنا المزري بوعي يكفل التحرك نحو الأمام عوض التقهقر نحو خطابات متشنجة وديماغوجية ستسير بنا نحو التهلكة .

إن العالم عبر التاريخ لم يحترم سوى الأقوياء . والعرب لديهم كل شيء لكي يكونوا كذلك ، ولكنهم يعملون كل ما في جهدهم لكي يستمروا على ضعفهم . فالأيادي الخفية التي قد تساعد العرب في توجههم نحو القبر تعرف أن مهمتها سهلة ، باعتبار كون أهم عدو للعرب هو العرب أنفسهم . حينما سنعي في يوم ما بهذه الحقيقة ، آنذاك نكون قد خطونا أول خطوة نحو تغيير الواقع ، وبالتالي نحو تحسين صورتنا في مخيلة الإنسان الغربي . ●

« كتاب الوسيني يساعد على سبر أغوار عالم الإعلام الغربي وصناعة الرأي العام ، ويفيد في تصحيح صورة العربي في العالم . »

هذا الكتاب : من أجل " إحياء العربي "

بقلم : د . سمير القريوتي *

مصادر الأخبار التي استعانت بها الصحافة الإيطالية فيما يخص العرب والشرق الأوسط والمسلمين فيما بعد ، كانت حتى منتصف الثمانينات ، هي وكالات الأنباء العالمية ، والمقصود بها وكالات الأنباء الأمريكية الكبرى ، إلى جانب وكالات الصحافة الفرنسية . كل إعلامي منتبه يتذكر تقرير ماك برايد الشهير في مطلع الثمانينات عن سطوة وكالات الأنباء العالمية هذه ، وكونها

* مدير مؤسسة غلوبوس ميديا الإعلامية ، كاتب وصحافي عربي .

المصدر الرئيسي لأكثر من 95٪ من تدفق الأخبار اليومية واللحظية على صعيد العالم برمته . وكالات الأنباء غرست كل هذه الصور السلبية عن العربي وقدمتها جاهزة للصحافة العالمية (الصحافة العربية مازالت تقع في شباك مضامين أخبار هذه الوكالات حتى اليوم) . وهذه الوكالات تستقي الخبر وتعالجه وتصدره وفق مصالح معينة ، ووفق سياسات معينة لاتنفصل إطلاقا عن سياسات ومصالح أصحابها في المجموعات الاقتصادية الاحتكارية التي تحرك خيوط اللعبة السياسة في الدول المتقدمة . بعد ذلك وفي زمن القرية الشاملة ، أي في مطلع التسعينات ، انضم إلى وكالات الأنباء مصدر آخر هو التلفزيون ببثه الكوني والمباشر ابتداء من " سي . سي . إن " وحتى آخر محطة رقمية " دشتال " هنا أو هناك . التلفزيون أخذ يبث هذه المفاهيم مرفقة بالصورة المباشرة ، وأصبح المرء في أي مكان يشاهد أحداثا وحروبا ووقائع وكأنه يشارك بها ، بل تم إشراكه بها رغما عنه وفق توجيه من المصدر .

أورد في هذا السياق مثالا واضحا لتعزيز طروحات الكاتب زهير الوسيني ، ففي الاحتفال بالذكرى العاشرة لحوار الأديان الذي أقامته جمعية " سانت إيجيديو " في

روما العام الماضي ، نقلت القناة الثانية في تلفزيون إيطاليا الحكومي الاحتفال على الهواء مباشرة ، وكان احتفالا كبيرا عكس أروع صور الحوار بين الأديان السماوية والمعتقدات الأخرى وصور معاني السلام بين الشعوب ، ونبذ العنصرية وفهم الآخر ، لكن قلة من الناس وربما لا أحد ، انتبه إلى أن المحطة وبشكل متقطع كانت تبث أفلاما من الأستوديو لإسناد ما يدور في الاحتفال ، وفي كل مرة أشير بها إلى الإسلام أو السلام في الشرق الأوسط ، بث التلفزيون مشاهد درامية لعمليات خطف الطائرات واقتحام مطارات دولية على يد المنظمات الفلسطينية ، وفي كل مرة تطرق بها الحديث إلى إسرائيل أو الدين اليهودي ، توالت مشاهد المحرقة النازية ، وفي كل مرة جاء بها تعبير الشعوب ، تم بث مشاهد عن قمع مظاهرات شعبية في العالم العربي . النتيجة أننا لم نشاهد لقطة واحدة لجندي احتلال إسرائيلي يكسر عظام أطفال فلسطين أو يحطم أثاث منزل عربي متواضع أو يهدم بيتا في القدس العربية ، والواقعة جرت بعد فترة من اتفاقيات السلام في أوسلو . المردود المباشر أن الغالبية العظمى من المشاهدين ربطت ما بين العنف والإرهاب والعرب والإسلام في حلقة متواصلة لتتحول

إلى قناعة بأن " عربي" هي رديف للعنف والإرهاب ، و" مسلم " هي رديف للتعصب والتطرف والقتل .. كما أن الغالبية من الناس عززت قناعتها بأن " اليهودي " هو الرديف الحي للمعاناة والاضطهاد وتحمل الأهوال في كل زمان ومكان .

إن كتاب زهير الوسيني « قَتْل العربي » يسد فراغا كبيرا في المكتبة العربية ، وامتلك المؤلف فيه أقصى صور الأمانة الفكرية كي يشرح لنا آليات وألغاز وأسرار صناعة الرأي العام والتأثير على الرأي العام وتوجيه الرأي العام . دون مجاملة أو مصلحة أعتقد أن كتاب « قتل العربي » ، جدير بالدراسة من جانب كل العاملين في حقل الإعلام العربي ، ومع قناعتي أن لا إعلام لمن لا سياسة له ، فإن كتاب الوسيني يساعد على سبر أغوار عالم الإعلام الغربي وصناعة الرأي العام ويفيد في تصحيح صورة العربي في العالم ، لو اتبعنا سطور الكتاب لنستقي من فصوله أدوات مادية في معاركنا الإعلامية ، سيما وأن قضايا العرب تحتاج إلى سند إعلامي وموضوعي وواعي كي تصل إلى الآخرين . أنا على ثقة من جدوى تعميم الكتاب لمن يعمل في حقول السياسة والثقافة والاقتصاد ، فالإعلام عملية متواصلة ومترابطة تشمل كل أنشطة الحياة . هذا العمل

العلمي المتميز يستحق الثناء ، وصفحات زهير الوسيني هي المقدمة " لأحياء العربي " في ذهن العالم ومنع الاستمرار في قتله ، والمخزون الثقافي الشخصي للوسيني هو الضمانة الأكيدة للنجاح في قصده هذا الذي يستحق عليه كل ثناء وتقدير . ●

محتويات الكتاب :



● الكتابان القادمان من

« سلسلة شراع نصف الشهرية » :

منتصف سبتمبر :

التناوب مشروع لم يكتمل

محمد المريني

فاتح أكتوبر :

في الترجمة

عبد السلام بنعبد العالي

● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

العدد 1 / **مارس** (1996) :

● المهدي المنجرة .. « **حوار التواصل** » ـ الطبعة الخامسة.

العدد 2 / **أبريل** :

● م.ع . المساري « **المغرب بأصوات متعددة** » ـ ط . 3 .

العدد 3 / **ماي** :

● عبد الجبار السحيمي « **بخط اليد** » ـ ط . 2 .

العدد 4 / **يونيو** :

● مصطفى القرشاوي « **قضايا راهنة** » ـ ط . 2 .

العدد 5 / **يوليوز** :

● نجيب العوفي « **مساءلة الحداثة** » ـ ط . 2 .

العدد 6 / **غشت** :

● تجميع «وكالة شراع» « باهي .. الصحافي والمناضل » ـ ط . 2 .

العدد 7 / **سبتمبر** :

● لحسن العسبي « **اللذة والعنف** » ـ ط . 2 .

العدد 8 / **أكتوبر** :

● عبد الله كنون « **في اللغة والأدب** » ـ ط . 2 .

العدد 9 / **نوفمبر** :

● عبد الغني أبو العزم « **الثقافة والمجتمع المدني** »

العدد 10 / **ديسمبر** :

● قاسم الزهيري .. « **قضايا وشجون** »

العدد 11 / **يناير** (1997) :

● العياشي أبو الشتاء « **الباحة والسنديان** »

العدد 12 / **فبراير** :

● عبد الرفيع جواهري « **أصحاب السعادة** » ـ ط . 2 .

العدد 13 / **مارس** :

● حسن نجمي « **الناس والسلطة** »

● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

العدد 14 / أبريل :

● الطيب بوتبقالت «**عبد الكريم الخطابي**» - ط.2.

العدد 15 / ماي :

● عبد القادر العلمي «**هاجس التغيير الديمقراطي**»

العدد 16 / يونيو :

● المهدي بن عبود «**عودة حي بن يقظان**» - ط.2. (**الجزء الأول**)

العدد 17 / يوليوز :

● محمد الدغمومي «**أوهام المثقفين**»

العدد 18 / غشت :

● المفضل الحضري «**ابن يسف : رائد الواقعية التعبيرية**»

العدد 19 / سبتمبر :

● محمد سبيلا «**حقوق الإنسان والديمقراطية**»

العدد 20 / أكتوبر :

● بنسالم حميش «**في الغُمّة المغربية**» - ط.2.

العدد 21 / نوفمبر :

● محمد بنعبد القادر «**حــوارات في مساءلة الذات والغير**»

العدد 22 / ديسمبر :

● محمد خرشيش «**المقاومة الريفية**»

العدد 23 / فاتح يناير (1998) :

● محمد الساسي «**تفاصيل سياسية**» - ط.2.

العدد 24 / 15 يناير :

● حسن الغرفي «**في الشعر الإفريقي**»

العدد 25 / فبراير :

● محمد وقيدي «**أبعاد المغرب وآفاقه**»

● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

العدد 26 / فاتح مارس :

● عبد الرحيم العلام . **« الشاعر لم يمت : محمد الخمار الكنوني »**

العدد 27 / 15 مارس :

● المهدي بن عبود . **« عودة حي بن يقظان » - ط. 2. (الجزء الثاني)**

العدد 28 / فاتح أبريل :

● سعاد الناصر . **« بوح الأنوثة »**

العدد 29 / 15 أبريل :

● عثمان أشقرا . **« المتن الغائب »**

العدد 30 / فاتح ماي :

● مصطفى المسناوي **« يا أمة ضحكت ..! »**

العدد 31 / 15 ماي :

● أحمد بن شريف . . **« أوراق الجنوب »**

العدد 32 / فاتح يونيو :

● بشير القمري **« في التحليل الدراماتورجي »**

العدد 33 / 15 يونيو :

● يحيى اليحياوي . ... **« العولمة ورهانات الإعلام »**

العدد 34 / فاتح يوليوز :

● محمد الميموني . **« في الشعر المغربي المعاصر »**

العدد 35 / 15 يوليوز :

● حسن نرايس **« أسماء مغربية »**

● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

العدد 36 / فاتح غشت :

● عبد الله زيوزيو — **« تأملات »**

العدد 37 / منتصف غشت :

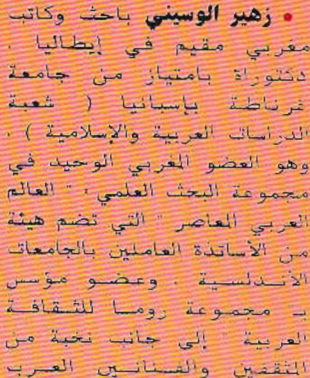
● محمد شكري سلام — **« مثقف الحرية والإصلاح : علال الفاسي »**

العدد 38 / فاتح سبتمبر :

● زهير الوسيني — **« قتل العربي »**

المؤلف





• **زهير الوسيني** باحث وكاتب مغربي مقيم في إيطاليا. دكتوراة بامتياز من جامعة غرناطة بإسبانيا (شعبة الدراسات العربية والإسلامية). وهو العضو المغربي الوحيد في مجموعة البحث العلمي: " العالم العربي المعاصر " التي تضم هيئة من الأساتذة العاملين بالجامعات الأندلسية. وعضو مؤسس بـ" مجموعة روما للثقافة العربية " إلى جانب نخبة من المثقفين والفنانين العرب المقيمين بإيطاليا.

• يعرف القراء والمستمعين الأستاذ **زهير الوسيني** بإسهاماته المتعددة في مجالات الأدب والإعلام في صحيفة العلم وإذاعة طنجة ومختلف المجلات الدولية المتخصصة. وله كتاب باللغة الإسبانية حول « الهوية في المسرح المغربي ». ويعمل منذ سنتين على دراسة آليات الإعلام المتطورة (الانترنيت - صفحات الويب). ومدى تأثيرها في صناعة الرأي العام.

• **زهير الوسيني** من مواليد طنجة 1962. ويعد حالياً دراسة إعلامية مستفيضة عن تألق إذاعة طنجة خلال سنوات (1984 - 1995).

خالد مشبال